مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
ISSN: 2709-0302 (online)
Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

مسألة خلق القرآن عند الإباضية المعاصرة (دراسة نقدية)(*)

د/ مشاعل بنت خالد باقاسي
الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والثقافة الاسلامية
كلية الدعوة وأصول الدين
جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية

*) تاريخ تسليم البحث 30/4/2021. تاريخ قبوله للنشر 3/7/2021.
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

مسألة خلق القرآن عند الإباضية المعاصرة
(دراسة نقدية)

د/مشاعل بنت خالد باقاسي
الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والثقافة الاسلامية
كلية الدعوة وأصول الدين
جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية

ملخص البحث

يتحدث هذا البحث عن مسألة مهمة من مسائل الدين المتعلقة بصفة من صفات الله الذاتية عز وجل وهي صفة الكلام وبالتحديد مسألة خلق القرآن عند الإباضية المعاصرة.

ويهدف البحث إجمالاً إلى بيان اعتقاد الإباضية المعاصرة في مسألة خلق القرآن، والمنهج المتبع الذي بنت عليه الحكم في المسألة.

وقد أشارت الباحثة إلى الاختلاف في مسألة خلق القرآن بين إباضية المشرق والمغرب لإظهار ما هم عليه من الابتداع في الدين ومخالفة منهج السلف الصالح.

مبينة الفكر الدخيل على الإباضية المعاصرة في المسألة الذي لم يكن في أسلافهم، ومظهرة الشبهات التي تناولوها في مسألة خلق القرآن، ثم الرد عليها.

أما **منهج البحث** فقد اتبعت الباحثة المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي، وذلك باستقراء أقوال الإباضية وآرائهم حول مسألة خلق القرآن، ثم تحليلها ونقدها.

ومن أهم نتائج البحث: أن القول بخلق القرآن لم يكن في الجذور العقدية لدى سلف الإباضية، بل لم يكن عند الخوارج الأُول، وهذا باعترافهم، وأن الحجج والشبهات التي أوردها الإباضية المعاصرة لم تكن من الأشياء الجديدة، وإنما هي محاكاة وتقليد وتأثر بمذهب المعتزلة في المسألة بخلق القرآن.

الكلمات المفتاحية: الإباضية، المعاصرة، خلق القرآن.

The issue of the creation of the Qur'an according to the contemporary Ibadism (critical study)

Dr. Mashael bint Khaled Bagassi
Associate Professor, Department of Da`wah and Islamic Culture
College of Da`wah and Fundamentals of Religion
Umm Al-Qura University - Kingdom of Saudi Arabia

Abstract

In this paper, the researcher talks about an important issue of religion related to one of the personal attributes of God Almighty, which is the quality of speech related to the book of God, and specifically the issue of the creation of the Qur'an in contemporary Ibadis.

The research aims, as a whole, to demonstrate the contemporary Ibadi belief in the issue of the creation of the Qur'an, and the approach followed upon which the ruling on the issue was based.

The researcher referred to the difference in the issue of the creation of the Qur'an between the Ibadis of the East and the Ibadis of the West, to show their innovation in religion and contradiction to the approach of the righteous predecessors, indicating the imposing thought of the contemporary Ibadi in the issue that was not in their ancestors, and manifesting the suspicions that they dealt with in the issue of the creation of the Qur'an, and then responding to it.

As for the research methodology, it followed the critical study approach. Among the most important results of the research:

The saying of the creation of the Qur'an was not in the believe roots of the ancestor of the Ibadis, rather it was not with the first Khawarij, and this is by their own admission.

The arguments and suspicions reported by the contemporary Ibadis were not new things, but rather they were imitations and influenced by the Mu'tazili approach in the matter of the creation of the Qur'an.

Key words: Ibadism - Contemporary - Creation of the Qur'an.

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ، وصفيه من خلقه وخليله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين من ربه.

أما بعد:

فإن من المهام التي أمرنا الله بها في هذه الحياة الدنيا، التواصي بالحق، والتناصح فيما بيننا، ومن أهم الأمور ما كان متعلقًا بديننا الحنيف، والعلماء والباحثون يقع على عاتقهم الجزء الأكبر في حماية الدين والحفاظ على دعائمه وأركانه ونصرته، وتبيين للناس سبيل المجرمين؛ حتى لا يقع الناس فيه، امتثالًا لقول المولى جل وعلا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، فبيان حال المخالفين وأصحاب الأهواء، والتحذير منهم واجب باتفاق المسلمين، فمخالفوا المنهج الصحيح -منهج أهل السنة والجماعة- كُثُر، ويتربصون له كل طريق لتضليل أتباعه، وغوايتهم حتى يكونوا سواء في الضلال والانحراف.

مشكلة البحث:

ممن سلك طريق المخالفة عن النهج الصحيح وسار به بين الناس فرقة الإباضية، وبالأخص في عصرنا الحاضر، والذين بدلوا وغيروا في هذا الدين؛ وجاوزا ما كان عليه أسلافهم من الخوارج، فأخذوا من جل الفرق المخالفة لأصول الدين ونهجه القويم.

فأصبح من علمائها يبثون أفكارهم المنحرفة في أوساط أبناء الأمة الإسلامية، ونبشوا عن مسائل قد طمرت منذ آلاف السنين من الخوض في صفات الله وتحريفها، والطعن في كتاب الله، والقول بخلقه.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث من خلال الأثر الفكري والعقدي الذي نتج عن بث الإباضية لفكرهم المنحرف القائه على الهوى، حتى إنهم قد فتحوا المجال لغيرهم ممن هم على شاكلتهم ممن يسمون أنفسهم بالعقلانيين ليقولوا في كتاب الله بأهوائهم.

أسباب اختيار الموضوع:

١- ما تجلى من دور الإباضية المعاصرة في إحياء مسائل عقدية تؤثر على عقيدة المسلم وتثير له أنواع الشكوك والريبة مما يؤثر على نهجه الفطري السليم وعقيدته الصحيحة القويمة، ومن تلك المسائل مسألة خلق القرآن.

٢- القيام بواجب الدفاع عن كتاب الله، وحمايته من هذه الأفكار الهدامة التي تعتدي على عقيدة أمتنا الإسلامية، بل وتتعدى على الذات الإلهية وتتطاول عليها.

منهج البحث:

وقد سلكت في بحثي المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي، وذلك باستقراء أقوال الإباضية وآرائهم حول مسألة خلق القرآن، ثم تحليلها ونقدها، فاستعرض أقوال الإباضية من كتبهم المعاصرة والمعتمدة في مذهبهم، وأظهر الشبهات التي تناولوها في مسألة خلق القرآن، ثم أقوم بالرد عليها من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وأقوال أهل السنة والجماعة، وأتبعتها بأقوال علماء الإباضية المعتمدين في المذهب الذين أنكروا على من يقول بخلق القرآن.

خطة البحث:

تكوّن هذا البحث: من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة:

المقدمة، وتشمل:

– أهمية البحث وسبب اختياره.

– منهج البحث.

– خطة البحث.

التمهيد: نشأة فرقة الإباضية وجذورها التاريخية، وفيه:

– سبب تسميتها بالإباضية.

– نشأتها العقدية والتاريخية.

المبحث الأول: الأصول العقدية التي قام عليها المذهب الإباضي.

المبحث الثاني: ظهور عقيدة القول بخلق القرآن عند الإباضية.

المبحث الثالث: عقيدة الإباضية المعاصرة وأقوالهم في مسألة خلق القرآن، وفيها ثلاثة مطالب.

– **المطلب الأول:** شبهات الإباضية القائلين بخلق القرآن وأدلتهم.

– **المطلب الثاني:** الرد على الإباضية القائلين بخلق القرآن.

– **المطلب الثالث:** رد علماء الإباضية المعتمدين في المذهب على القائلين بخلق القرآن.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

التمهيد:
نشأة فرقة الإباضية وجذورها التاريخية:

سبب تسميتها بالإباضية:

تنسب فرقة الإباضية لرجل يسمى عبدالله بن أباض[١] ويعتبر المؤسس الأول لفرقة الإباضية وإمامًا لها؛ لما كان يتمتع به من الشهرة في قومه، ولما فيه من الجرأة، ومواقفه ضد الحكام المخالفين له في آرائه واعتقاده، وإن كانت الإباضية تدعي -كما يذكرون في مصادرهم- أن نسبتهم تعود إلى إمامهم الأول زيد بن جابر[٢]، وأنه واضع أصل مذهبهم؛ ليكون لهم امتداد بالرعيل الأول في أصل المذهب[٣].

ولكن الذي نقل عن زيد بن جابر أنه تبرأ منهم، فقد ذكر ابن سعد: "قيل: لجابر بن زيد إن الإباضية يزعمون أنك منهم، فقال: أبرأ إلى الله منهم ... قيل: كان بريئًا مما يقولون، وكان الإباضية ينتحلونه"[٤].

فهذه التسمية للإباضية لم تستعمل في تاريخهم المبكر، وإنما كانوا يستعملون عبارة "جماعة المسلمين" أو "أهل الدعوة"، وأول ما ظهر استعمالهم لكلمة الإباضية كان في آخر القرن الثالث الهجري"[٥].

وإن كانت هذه التسمية لا تطيب للكثير منهم، يقول شيخ الإباضية في بلاد المغرب الناصر المرموري[٦]: "أبى الناس إلا أن يسمونا مذهب الإباضية"[٧].

نشأتها العقدية والتاريخية:

نشأت فرقة الإباضية في أصولها الاعتقادية والتاريخية كفرقة من فرق الخوارج، وتفرعت عنها كسائر فرقها الكبرى، فعبدالله بن إباض- الذي تنتمي إليه الإباضية- نشأ خارجيًا، وكان أحد زعماء الخوارج -امتدادًا للمحكمة الأولى-، قُرِن تاريخه ومواقفه مع كبارهم، كنافع بن الأزرق، وعبدالله بن الصفار، وحنظلة بن بيهس، ونجدة بن عامر الحنفي؛ إذ كان يوافقهم في غالب أصولهم المعروفة، عدا بعض المسائل التي خالفهم بها في أحكام المسلمين المخالفين لهم.

---

(١) أختلف في اسمه والأشهر عند الجمهور أنه: عبدالله بن يحيى بن إباض المري، أحد بني مرة بن عبيد، وينسب إلى بني وينسب إلى بني تميم، عده الشماخي في التابعين، عاصر معاوية وابن الزبير، كانت وفاته في خلافة عبدالملك بن مروان. ينظر: الملل والنحل: الشهرستاني: ١٣٤/١، الأعلام: الزركلي، ٦٢/٤.

(٢) هو جابر بن زيد الأزدي ثم الجوفي البصري، يكنى بأبي الشعثاء، وهو تابعي فقيه من أهل البصرة، أصله من عمان، صحب ابن عباس، وكان من بحور العلم، نفاه الحجاج إلى عمان، ولد سنة ٢١هـ، ومات سنة ٩٣هـ هجرية. ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني: ٨٥/٣-٩٠، تذكرة الحفاظ، شمس الدين الذهبي، ٥٧/١-٥٨، البداية والنهاية: الحافظ أبي الفداء بن كثير ١١١/٩، تهذيب التهذيب، الحافظ بن حجر العسقلاني،٣٨/٢.

(٣) دراسات إسلامية في الأصول الإباضية: بكير أعوشت، ص١٨.

(٤) الطبقات الكبرى: ابن سعد، ٧/ ١٣٣-١٣٤، وتهذيب التهذيب: ابن حجر: ٢: ٣٨.

(٥) ينظر: أجوبة ابن خلفون: ص٩.

(٦) ناصر بن محمد المرموري (معاصر): ولد بمدينة القرارة سنة ١٩٢٩م، وبها حفظ القرآن الكريم، ونشأ في كنف شيخيه شريفي سعيد (الشيخ عدون)، برع في فقه المذهب وسير علمائه. أستاذ العلوم الشرعية بمعهد الحياة بالقرارة. الشبكة العنكبوتية.

(٧) نشأة الحركة الإباضية وأصولها: الناصر المرموري، من موقع الشبكة العنكبوتية "تسجيلات مرئية" https://www.youtube.com/watch47QCtI

فقد كانت اللبنات الأولى لهذه الطائفة منذ خلافة معاوية ﷺ إلى خلافة عبدالملك بن مروان من مواقف ابن إباض -كغيره من رؤساء الخوارج-، مخالفًا جماعة المسلمين وإمامهم، حتى كان عهد ابن الزبير(سنة ٦٤هـ) حاربوا معه ضد جيوش الشام التي حاصرت مكة، ثم بعد ذلك أعلنوا عداءهم له، وخرجوا عنه حين علموا مخالفته لرأيهم، وقوله في عثمان ﷺ.

وقد ظهر على رأس هؤلاء نافع بن الأزرق متزعمًا الخوارج ليجمع كلمتهم، إلا أنه أحدث الخلاف فيهم، بقوله: إن جميع المسلمين كفار مثل كفار العرب، وهم في النار، وبالبراءة من القعدة، فكان أول من أحدث الخلاف في الخوارج، فشتت كلمتهم وفرق جماعتهم(١).

عند ذلك "نفروا عنه... فتفرقوا(٢) بأبدانهم وأديانهم ومذاهبهم ومسالكهم المختلفة المنتشرة التي لا تنضبط ولا تنحصر"(٣)، فكان ابن إباض في أول أمره مع نافع بن الأزرق، ثم انشق عنه وخالفه فيما يقول، وقال: "إن القوم برآء من الشرك ولكنهم كفار بالنعم والأحكام، ولا يحل لنا إلا دماؤهم، وما سوى ذلك فهو حرام علينا"، وكون مذهبًا ترأسه هو(٤).

نشأة الإباضية في المشرق العربي:

وبهذا نشأت الإباضية الأولى انطلاقًا من البصرة التي تعد قاعدتها الأولى، وكان لها آراؤها التي لم تخرج في عمومها عن أصول الخوارج العقدية، وإن خالفوهم في بعضها، ورأت الإباضية كغيرها من فرق الخوارج أن تؤسس لها دولة مستقلة ذات كيان بعيدة عن الخلافة الأموية، فبدأت الإباضية تجد لها على الساحل الجنوبي الشرقي لجزيرة العرب -عُمان وحضرموت- موطنًا تنشر فيه آراءها ومبادئها كفرقة ذات أفكار وآراء اعتقادية، وكان ذلك في منتصف القرن الثاني الهجري، حيث كان الصراع بينها وبين الخلافة الأموية التي انهكت قواها(٥).

أما إذا أردنا أن نتكلم عنها كدولة مستقلة على عمان لها ولاية عليها، فقد كان في بداية الخلافة العباسية على عهد أبي العباس السفاح، وآلت إمامتهم إلى الجلندى بن مسعود(٦)(سنة ١٣٢هـ).

وعلى الرغم لما تعرضت له الإباضية في عمان من هزائم وخسائر فادحة على يد الخلافة العباسية إلا أن حكمها لم يزل باقيًا إلى هذا اليوم(٧).

نشأة الإباضية في المغرب العربي:

وفي المقابل نجد الإباضية أخذت تسعى لإقامة سلطة في المغرب العربي- في أول القرن الثاني للهجرة - بعيدًا عن بطش الخلافة الأموية؛ لتتمكن من نشر مذهبها، وتحافظ على بقائه، وقد ساعدهم

---

(١) العقود الفضية في الأصول الإباضية: وينظر: تاريخ الطبري: ٥/ ٥٦٦- ٥٦٧، الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٢٥٤/٣ -٢٥٦، والكامل: المبرد، ٣/ ٢١٠-٢١٢.

(٢) افترق الخوارج إلى أربع فرق كبرى رئيسة، هم: الأزارقة، والصفرية، والنَّجدات، والإباضية، انقرضت الثلاث الأُول، أما الفرقة الرابعة - الإباضية- فإنها باقية إلى اليوم، وكان انقسام هذه الفرق سنة ٦٤هـ.

(٣) البداية والنهاية: ابن كثير، ٢٤٣/٣.

(٤) الاعتصام: للشاطبي: ٣٥٩/٣ – ٣٦٠، الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ٢٥٦/٣، البداية والنهاية: ابن كثير، ٢٤٣/٨.

(٥) ينظر: مختصر تاريخ الإباضية: أبو الربيع سليمان الباروني، ص٣٠-٣١، الأصول التاريخية للفرقة الإباضية: د. عوض خليفات، ص٣٠-٣٢.

(٦) الجلندى بن مسعود بن جيفر بن جلندى الأزدي، أمير عمان، وعظيم الأزد فيها، كان إباضيا، من الشجعان، وكانت عمان أشبه بالمقاطعة المستقلة في أيام بني أمية، فلما استولى بنو العباس أرسل السفاح خازم بن خزيمة في جيش لإخضاعها، فقاتله الجلندى فقتل، وقتل معه نحو عشرة آلاف من أصحابه. الأعلام، الزركلي، ١٣٣/٢.

(٧) عمان تاريخ يتكلم، محمد بن عبدالله السالمي، ص١٣٥.

على نشر مذهبهم في المنطقة جنس البربر الذين وجدوا منهم آذان صاغية في تقبل دعوتهم، كما ظهر منهم الاعتدال في تلك الفترة تحت ستار التقية؛ حتى يصلوا لما أرادوا من تأسيس دولتهم في بلاد المغرب.

واجتهدت الإباضية بالدعوة إلى مذهبهم هناك، وإرسال الدعاة إلى قاعدتهم الأولى- البصرة - وإلى المشرق ليتزودوا بالعلم، فكان أول دعاتهم "سلمة بن سعد(١)". واستمر الدعاة بجهودهم المضنية في الانتصار لدعوتهم في المنطقة، حتى استطاعوا بعد صراع مرير من تأسيس الدولة الرستمية(٢) الإباضية في بداية العقد السابع من القرن الثاني الهجري(٣)، وقد عُمِّرت هذه الدولة أكثر من قرن وثلث، ثم قضى عليها الفاطميون نحو عام٢٩٧هـ.

وعلى رغم ما لقيه المذهب الإباضي من الصراعات التي أنهكته، إلا أنه ظل قائمًا في مناطق متعددة من بلاد المغرب العربي، ولا تزال بقاياهم موجودة إلى يومنا هذا(٤).

فهذه لمحة موجزة عن نشأة الفرقة الإباضية من حيث جذورها التاريخية والعقدية تبين مدى تمسك هذه الفرقة بمذهبها، وقد ضحت بكل ما أوتيت من قوة في نشره؛ ولكن هناك تساؤل يطرح نفسه على الأمة الإسلامية بوجه عام وعلى الإباضية بشكل خاص!!

ما هي آراؤهم الاعتقادية، وما الأصول التي قام عليها المذهب الإباضي، وقاتل من أجلها؟ هل تستحق كل هذه التضحيات التي قضوا وأفنوا أعمارهم وأجيالهم فيها ومن أجلها؟!

هذا ما سنذكره - بمشيئة الله - في المبحث القادم.

(١) سلمة بن سعد بن علي بن أسد الحضرمي اليمني، ويقال: سلامة بن سعيد، عالم وداعية إلى الإباضية، أخذ علمه عن جابر بن زيد ومسلم بن أبي كريمة، وضمام بن السائب وغيرهم، وهو أو من جاء بمذهب الإباضية من البصرة إلى المغرب، توفي بعد ١٤٠هـ. معجم أعلام الإباضية، محمد بن موسى باباعمي وآخرون، ١٨٩/٢.

(٢) نسبة إلى عبدالرحمن بن رستم فارسي الأصل تتلمذ على يد أبي عبيدة بن مسلم بن أبي كريمة بالبصرة، وتولى تاهرت سنة ١٦٠هـ، بعد أن اتفق جمع الإباضية مبايعته. طبقات المشائخ بالمغرب، الدرجيني، ٤٠/١ وما بعدها.

(٣) إلا أن هناك من يرى أن دخولهم إلى بلاد المغرب العربي لنشر مذهبهم وتأسيس دولتهم كان مبكراً عن تلك الفترة بداية من العقد الرابع من السنة الثانية للهجرة على يد إسماعيل بن زياد النفوسي الإباضي (سنة ١٣٢هـ)، ومن بعده ابن الخطاب المعافري (سنة ١٤٠هـ). ينظر: نشأة الحركة الإباضية: د. عوض خليفات.

(٤) الأصول التاريخية للفرق الإباضية: د. عوض خليفات، ص٥٢.

المبحث الأول: الأصول العقدية التي قام عليها المذهب الإباضي:

تقوم عقائد الإباضية على أصول ثمانية، يمكن أن نذكرها مع شرح موجز لها في النقاط الآتية:

تشترك الإباضية مع سائر فرق الخوارج في أمرين اثنين، هما:

– **تخطئة التحكيم**(١).

– **عدم اشتراط القرشية في الإمام.**

وفي ظل الأصل الأوّل يوالون المحكِّمة الأُولى كعبدالله بن وهب الراسبي وحرقوص بن زهير السعدي وغيرهما، أما الأصل الثاني يرون أن الخلافة حق شائع بين المسلمين الأحرار والأرقاء، وإذا اختير الخليفة فلا يجوز أن ينزل عنها، وإذا جار أو انحرف استحلّ قتله إذا اقتضت الضرورة، ولذا اعترفوا بإمامة عبدالله بن وهب الراسبي ومن جاء بعده من المحكِّمة(٢).

ثمّ إنّ لهم أُصولا خاصّة يتميّزون بها عن بقية ما عليه بقية فرق الخوارج، وإن كانوا يلتقون فيها مع غيرهم من الطوائف الأخرى: كالمعتزلة، والأشاعرة، والماتريدية، والزيدية.

– **مسألة الخروج على الأئمة:**

فالخروج على الإمام الجائر من الأصول الاعتقادية عند الخوارج والإباضية، مخالفين في ذلك أصول ومنهج أهل السنة.

يقول أبو الحسن الأشعري: "والاباضية لا ترى اعتراض الناس بالسيف، لكنّهم يرون إزالة أئمّة الجور، ومنعهم من أن يكونوا أئمّة بأيّ شيء قدروا عليه، بالسيف أو بغيره"(٣).

فالإباضية يقدحون في إمامة الخليفتين الراشدين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب -رضي الله عنهما- وقد زكاهما الرسول ﷺ، فهذا يعد طعنًا في تزكية الرسول ﷺ فيهما(٤).

ويعتقدون أن الإمام إذا ارتكب كبيرة أو ذنبًا ولم يتب منه يحل عليه الخروج ويكون واجباً وقتاله حق واستشهاد(٥).

وإن كان علماء الإباضية المعاصرون يحاولون جاهدين تلطيف هذه الصورة في أعين الناس، وفي الحقيقة هم خلاف ذلك.

يقول علي يحيى معمر: "إنّ الاباضية يرون أنّه لا بدّ للأُمّة المسلمة من إقامة دولة، ونصب حاكم يتولّى تصريف شؤونها، فإذا ابتليت الأمة بأن كان حاكمها ظالمًا فإنّ الإباضية لا يرون وجوب

---

(١) اجمعت الخوارج كلّهم، المتطرّف منهم وغيره، أنّ قبول التحكيم في حرب صفّين كان أمراً مخالفاً للكتاب، بأن يُحكِّم الرجال فيما نزل فيه حكم الله، واتّخذه الخوارج شعاراً أيّام حياة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وبعده- وهم من أشاروا عليه بالتحكيم أول الأمر – وما أن رضي بالتحكيم حقنًا لدماء المسلمين، وبعد أن رفع جيش معاوية المصاحف على أسنة الرماح طلبًا لتحكيم كتاب الله بينهم، اعترض الخوارج على التحكيم، وقالوا بتكفير علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وأصحاب الجمل رضي الله عنهم جميعًا، ومن رضي بالتحكيم، وصوب الحكمين، أو أحدهما، ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني، (١١٨/١-١١٤)، والفرق بين الفرق، عَبْد القَاهر البَغْدادي، (ص٩٩-١٠٠، ٣٠٧)، ومقالات الإسلامين، أبو الحسن الأشعري (٤/١-٣، ٨٧، ١٢٥)، ومجموعة الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية (٤٣٦/٤، ٢٠٨/١٣، ٩١/١٩-٩٠)، الإباضية في موكب التاريخ، علي يحيى معمر، (ص٢٦-٣٨).

(٢) ينظر: مروج الذهب: المسعودي: جـ٢/ ص٤١٥-٤٣٠، الإباضية: عقيدة ومذهبًا، د. صابر طعيمة، ص: ٣٣.

(٣) مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري: جـ١/ ص١٠٩.

(٤) ينظر: مختصر تاريخ الإباضية: أبو الربيع الباروني: ص١٦ -١٨. منهج الطالبين: الرستاقي: جـ ١/ ص٦١٧.

(٥) ينظر: شرح النيل وشفاء العليل: محمد أطفيش: جـ١٤/ ص٢٨٢، الإباضية: عقيدة ومذهبًا، د. صابر طعيمة، ص١٤١.

الخروج عليه، لاسيّما إذا خيف أن يؤدّي ذلك إلى فتنة وفساد، أو أن يترتب على الخروج ضرر أكبر مما هم فيه"(١).

– **الصفات الإلهية:**

صفات الله الذاتية -عند الإباضية- عين ذاته، ليست زائدة عن الذات، أي: ليس هناك أمر ثانٍ غير ذاته العلية، وبعبارة أخرى: إن الذات والصفات –عندهم- شيء واحد، فما الصفات إلا معانٍ اعتبارية لا وجود لها في الخارج(٢).

يقول علي يحيى معمر: "صفات الباري -جل وعلا- ذاتية، ليست زائدة ولا قائمة بها، ولا حالة فيها"(٣).

ولعلهم بذلك أرادوا أن يتحاشوا إثبات صفات كمعان زائدة وراء الذات؛ لأن ذلك -في رأيهم- ضد التوحيد الواجب إثباته لله تعالى؛ إذ إنها ذات واحدة لا كثرة فيها بوجه من الوجوه.

والإباضية بهذا القول تكون وافقت مذهب المعتزلة(٤) والماتريدية(٥)، مع تصريحهم بالموافقة.

يقول الرواحي الإباضي: "ووافقنا على كونها صفات اعتبارية الحكماء والمعتزلة، وأنها لا وجود لها في الخارج من اعتبار العقل"(٦).

وأما مذهبهم في الصفات الخبرية فقد نهجوا فيها منهج المؤوِّلة بتأويلهم آيات الصفات عن ظاهرها إلى ما يرون من وصف الله به.

فهذا السالمي(٧) في أبياته من تفسيره للاستواء بالاستيلاء يقول:

وهو على العرش والأشياء استوى وإذا عدلت فهو استواء غير ما عقلا

وإنما استوى ملك ومقدور له على كلها استيلاء وقد عدل(٨)

يقول محمد أطفيش(٩): "إن مذهبنا ومذهب هؤلاء - يقصد المعتزلة - ومن وافقهم تأويل الآية عن ظاهرها إلى ما يجوز وصف الله به"(١٠).

وعلى أي حال فالإباضية دفعهم إلى ذلك القول سواء في الصفات الذاتية أو الخبرية الهروب من تعدد القدماء، أو الوقوع فيما وقعت فيه النصارى من القول بالتثليث.

---

(١) الإباضية بين الفرق الإسلامية: علي يحيى معمر، ص٣٣٣-٣٣٤.

(٢) مشارق أنوار العقول: السالمي، ص١٧٧.

(٣) الإباضية مذهب إسلامي معتدل: علي يحيى معمر: ص٢٨.

(٤) فرقة إسلامية نشأت أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، واعتمدت على العقل المجرد في فهم مسائل العقيدة، فانحرفت عن عقيدة أهل السنة والجماعة، وكان ظهورها الأول على يد واصل بن عطاء الذي اعتزل حلقة الحسن بعد قوله بأن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين. الموسوعة الميسرة للأديان، الندوة العالمية لشباب العالم الإسلامي، ص٦٥.

(٥) فرقة كلامية، تُنسب إلى أبي منصور الماتريدي، قامت على استخدام البراهين والدلائل العقلية والكلامية في محاجة خصومها من المعتزلة والجهمية وغيرهم، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية. الموسوعة الميسرة للأديان، الندوة العالمية لشباب العالم الإسلامي، ص٩٥.

(٦) نثار الجوهر في علم الشرع الأزهر: ناصر سالم الرواحي، جـ١/ ص٣٢. الطبعة الأولى عام ١٤٠٠هـ، مسقط.

(٧) هو عبدالله بن حميد بن سوم السالمي، مؤرخ وفقيه، من أعيان الإباضية، مولده ووفاته في عُمان، كان ضريرًا، توفي سنة ١٣٣٢هـ. الأعلام، الزركلي، ٨٤/٤.

(٨) نقلًا من كتاب شرح غاية المراد في نظم الاعتقاد، أحمد بن حمد الخليلي، ص٨٣.

(٩) هو محمد بن يوسف بن عيسى أطفيش الحفصي العدوي الجزائري، علامة بالتفسير والفقه والأدب، إباضي المذهب، مجتهد، توفي سن ١٣٣٢هـ. الأعلام، الزركلي، ١٥٦/٧.

(١٠) همیان الزاد إلى دار المعاد: محمد بن يوسف، جـ١٠٦/٢.

– مسألة الرؤية:

تنكر الإباضية رؤية المؤمنين ربهم في الجنة بأبصارهم؛ لأن القول بالرؤية -عندهم-يهدم أساس التوحيد، فالرؤية توجب الحلول، والله منزه عنه، وتثبت التحيز، وتقرر الظرفية، وتقضي بالجهة، وهذه كلها قوادح في صحة الألوهية، تعالى الله عز وجل عنها، فالذي يرى لا يصلح أن يكون ربًا، إنما الرؤية للمخلوقات.

وما ذهب إليه الإباضية يخالف إجماع السلف من أهل السنة, ويوافقون به الجهمية والمعتزلة والرافضة(١).

يقول صاحب العقود الفضية نافيًا إمكان رؤية الله تعالى: "فالإباضية يمنعون ذلك، أي: الرؤية، والحجة قوله تعالى: ﭽ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ﭼ(٢)، والإدراك يكون بالقليل كما يكون بالكثير، فنفى ذلك عن نفسه....؛ ولأنه يلزم من يقول بالرؤية إثبات الجهة واللون لله تعالى، وهو باطل"(٣).

– مسألة مرتكب الكبيرة:

اتّفقت الخوارج حتى الإباضية على أنّ ارتكاب الكبيرة موجب للكفر، مع اختلاف فيما بين فرق الخوارج في نوع الكفر، فالأزارقة يرون مرتكب الكبيرة كافر كفر ملة، وصاحبها مخلد في النار، أما الإباضية فيرون أنه كافر كفر نعمة، فإن أصر على الكبيرة ومات عليها فمخلد في النار(٤).

يقول علي يحيى معمّر: "يحسب كثير ممّن لا علم له أنّ الاباضية ممّن يتّفقون مع الخوارج في تكفير العصاة كفر شرك، ولا يعرفون أنّ الاباضية يطلقون كلمة الكفر على عصاة الموحّدين الذين ينتهكون حرمات الله، ويقصدون بذلك كفر النعمة...."(٥).

– مسألة الشفاعة:

أما الشفاعة عند الإباضية فإنهم يثبتونها، إلا أنهم يخصونها للمتقين دون العصاة، فأيهما أحق بالشفاعة المتقي أم العاصي؟!

يقول صاحب كتاب الأديان: "والشفاعة حق للمتقين، وليست للعاصين"(٦).

– مسألة الصحابة:

إن الإباضية لم تسلم هي الأخرى من الطعن لبعض كبار الصحابة، بل لا يترضون عنهم، فأما متقدميهم فقد كان الأمر يصل بهم إلى درجت التكفير، كما هو الحال مع الخليفة عثمان بن عفانﷺ، حيث يصفه صاحب كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة: بأنه أشد فتنة من الدجال، واتهمه بالبغي

(١) هم جماعة من أهل الكوفة رفضوا زيد بن علي لأنه خالف في الأصول والتبري والتولي. الملل والنحل، الشهرستاني، ٣٠/١ و١٥٥، طبعة المعرفة.

(٢) سورة الأنعام: آية ١٠٣.

(٣) العقود الفضية في أصول الإباضية: سالم بن حمد الحارثي، ص٢٨٧.

(٤) ينظر: الملل والنحل: الشهرستاني، جـ١/ ص١٢٢، ص١٣٥. ولقاء مفتي عمان أحمد الخليلي في قناة الرسالة في برنامج لقاء الجمعة عن موضوع "وحدة الأمة" .www.alresalah.net: الموقع الإلكتروني. تاريخ النشر: ٢٠١٣/١٢/٣م.

(٥) الإباضية في موكب التاريخ: علي يحيى معمر: ٨٩.

(٦) الأديان والفرق، المؤلف مجهول، ص:٥٣. نقلًا من كتاب: صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي، الدكتور: علي محمد الصَّلَّابي، ٥٧٥/١

وفي دين الله ودماء المسلمين[١]، وكذلك ما كان من وصف عبدالله بن إباض لمعاوية بن أبي سفيان ﷺ بالكفر في رسالته إلى عبدالملك بن مرون، دون تورع منه في الخوض في صحابة رسول الله ﷺ.
وفي كل هذا مخالفة صريحة لقوله ﷺ: "لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه"[٢].
فأين هم من قول رسول الله ﷺ ليفتروا الكذب على صحابته، وفيهم المبشرين بالجنة.
فهذه بعض الأصول في عقيدة الإباضية، وهناك مسائل عقدية أخرى خالفت فيها الإباضية عقيدة أهل السنة والجماعة، كمسألة الولاء والبراء، وإقامة الجمعة، والتقية، والوقوف، وتأويلهم الميزان، والقول بخلق القرآن وغيرها.

المبحث الثاني: ظهور عقيدة القول بخلق القرآن عند الإباضية.

إن القول بخلق القرآن لم يكن عند سلف الإباضية وأئمتهم الذين يرجعون إليهم في أصل المذهب، وهذا باعتراف منهم أنفسهم؛ حيث يقول الدكتور/ فرحات الجعبيري الإباضي: "لم نجد الإشارة إلى خلق القرآن لا عند الصحابة ولا عند التابعين، فجابر بن زيد وأبو عبيدة والربيع ووائل بن أيوب شيوخ الإباضية على التوالي لم يتطرقوا لهذا الموضوع فيما نعلم"[٣].

ومن العجيب إقراره بأن هذه الأفكار إنما جاءت دخيلة على المجتمع الإسلامي من فلاسفة اليونان ومن الديانات اليهودية والنصرانية المحرفة، مع خوضهم جميعًا في هذه القضية، وانتقلت هذه الأفكار إلى الإسلام عن طريق الجعد بن درهم؛ حتى وصلت ذروتها في عهد المأمون[٤].
إذًا: لم تكن هذه المسألة في الجذور العقدية لدى الإباضية، بل لم تكن عند الخوارج الأُوَل في أصلها، فمتى كان ظهورها في المذهب والفكر الإباضي، ومن الذي أتى بها إليهم لتكن مثار خلاف فيما بين علماء الإباضية؟!
تذكر المصادر الإباضية أن أول من أدخل هذه المسألة بين الإباضية رجل اسمه عبد الله بن يزيد الفزاري[٥]، الذي كان يعيش بالكوفة بين القرن الثاني والثالث للهجرة.
يقول الدكتور/ الجعبيري: "ويبدو أن أول من تعرض للقضية في المحيط الإباضي ابن يزيد الفزاري، دون أن يكون لها أثر كبير في البيئة الإباضية"[٦].
وإن كان هذا الكلام بحاجة إلى تحقيق فيما نسب إلى عبدالله بن يزيد بالقول بخلق القرآن.

والذي يظهر أن القول بخلق القرآن عند الإباضية جاء متأخرًا عما ذكر آنفًا، فإن وقوعها إنما كان في العقود الأولى من القرن الثالث الهجري، حيث وقعت الفتنة بين علماء عمان بدُما -السيب حاليًا-، وعلى وجه التحديد ما وقع بين محمد بن هاشم بن غيلان ومحمد بن محبوب بن الرحيل، والقول بخلق القرآن للثاني منهم، واشتد بينهم الخلاف، حتى كره الأول المقولة بخلق القرآن وكاد

(١) كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة: تصنيف: سرحان بن سعيد الإزكوي، ج١٦١/٢، ١٦٥.
(٢) صحيح مسلم، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، برقم ٢٢٤٦، ١٧٦٢/٤.
(٣) البعد الحضاري للعقيدة الإباضية: فرحات الجعبيري: ٣٢٩/١.
(٤) ينظر: المصدر السابق: ٣٢٩/١.
(٥) عبدالله بن يزيد الفزاري الإباضي الكوفي، متكلم من أتباع عبدالله بن إباض، كان بالكوفة، يختلف إليه أصحابه يأخذون منه، وكان خرازاً شريكاً لهشام بن الحكم، ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ٢٦٦/٢، مروج الذهب، المسعودي جـ٢/ ص٥٤.
(٦) البعد الحضاري للعقيدة الإباضية: فرحات الجعبيري: ٣٢٩/١.

يخرج من عمان، ثم تفرق الجمع، ثم عاودوا المجلس؛ ليرجع محمد بن محبوب عن قوله: بخلق القرآن فرجع، ثم شدوا على من يقول: إن القرآن مخلوق(١).

ولكن مع ما ذكرناه من اتجاه القائلين بخلق القرآن إلا أنه ما زال الخلاف مستمرًا بين علماء الإباضية إلى القرن السادس الهجري، فتخبوا حينًا، وتظهر حينًا آخر، بل لم تزل القضية إلى وقتنا الحاضر بين الإباضية فيما بينهم، أو فيما بينهم وبين غيرهم(٢).

أما بالنسبة للإباضية في شمالي إفريقيا فكانوا جميعًا على رأي واحد يقولون إن القرآن مخلوق.
وأقدم وثيقة تعالج هذه المسألة هي رسالة ألفها الإمام الرستمي، أبو اليقظان محمد بن أفلح (ت٢٨١هـ)، ناقش المسألة بتفصيل، مقدِّمًا حججًا قوية لدعم عقيدة خلق القرآن.

من الأسباب التي دعت الإباضية إلى تبني هذه المسألة تأثرهم بالمعتزلة الذين سبق وجودهم في الشمال الإفريقي وجود الإباضية، واقتناع إمامهم محمد بن أفلح الرستمي بمعتقد المعتزلة في المسألة، ويحتمل أن هذا التأثير جاء نتيجة اقتناع محمد بن أفلح بهذه العقيدة أثناء سجنه في بغداد في عهد أحد الخلفاء العباسيين؛ ولكونه إمام الدولة الإباضية كلها في شمالي إفريقيا فإن أنصاره ارتضوا وجهة نظره بالإجماع، وبصورة طبيعية يمكن أن تنتشر هذه المسألة على أساس نظريتهم في ذات الله وصفاته.

وحين عالج علماء الإباضية المغاربة مسألة القول بخلق القرآن كانت وجهة نظر المعتزلة حول خلق القرآن قد انتشرت في أوساطهم انتشارًا واسعًا فتأثروا بها(٣).
فحسمت القضية بالقول بخلق القرآن زمن الدولة الرستمية، وذلك منذ القرن الثالث الهجري، واستمروا في الدفاع عن هذا المبدأ حتى الآن(٤).

المبحث الثالث: عقيدة الإباضية المعاصرة وأقوالهم في مسألة خلق القرآن:

ذكر علماء الفرق المتقدمون والباحثون حديثًا بأن الإباضية تلتقي مع الخوارج في أغلب أصولهم، إلا أن هناك مسألة من المسائل العقدية التي أخذت حيزًا واسعًا من الخلاف عند الإباضية وهي مسألة "خلق القرآن" المتعلقة بصفة كلام الله تعالى.
فقد ذكر أبو الحسن الأشعري رحمه الله عقيدة الخوارج في مسألة خلق القرآن وإجماعهم على الحكم بخلقه, فقال: "وكل الخوارج يقولون بخلق القرآن"(٥).

وهذا الحكم عام على الخوارج في جملتهم، بجميع طوائفهم وفرقهم، ولكن هذه المقولة تحتاج إلى تتبع واستقراء من الباحثين عن نشأة هذه المسألة عند الخوارج وظهورها بينهم.
فالخوارج المتقدمون - الذين كانوا في عهد الصحابة والتابعين- لم يعرف فيهم الكلام وتأويل الصفات, وقد سبق ظهورهم من تكلموا في مسألة خلق القرآن وهم المعتزلة، فلا نستطيع أن نعمِّم بالحكم على المتقدمين منهم والمتأخرين(٦).

---

(١) ينظر: تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان: نور الدين السالمي، ١/ ١٥٤-١٥٧.
(٢) البعد الحضاري للعقيدة الإباضية: فرحات الجعبيري: ٣٢٩/١.
(٣) ينظر: دراسات عن الإباضية: د. عمرو خليفة النامي، ص١٨٤.
(٤) ينظر: البعد الحضاري للعقيدة الإباضية: د. فرحات الجعبيري، جـ١/ ص٣٣٢- ٣٣٣.
(٥) مقالات الإسلاميين: أبو الحسن الأشعري، ٩٩/١.
(٦) ينظر: بيان تلبيس الجهمية: شيخ الإسلام ابن تيمية، ٥٨٤/٢، الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام: د. ناصر عبدالكريم العقل، ص٢٩.

وهذه المقدمة التي ذكرتها عن مسألة "خلق القرآن" عند الخوارج لم تكن مدار البحث الذي نحن بصدده؛ وإنما قصدت منها الجذور العقدية والفكرية التي انطلقت منها الإباضية في تقرير المسألة، لنصل من خلالها إلى ما استقر عليه رأي واعتقاد علماء الإباضية المعاصرين.

يقول الدكتور ناصر العقل حفظه الله:

"ويعتقد بعض الأباضية(١) أن القرآن مخلوق، وهذا هو قول كثير من المغاربة منهم، أما المشارقة - أباضية عمان- فأكثرهم يقول: بأن القرآن غير مخلوق، إلا أن أحد علمائهم المعاصرين(٢) نصر قول الجهمية بخلق القرآن"(٣).

ولكن نجد من الإباضية أنفسهم من يصر على قوله: بـ"خلق القرآن" ويعده قول جميع الإباضية، فيقول: "وليس منا من قال أن القرآن غير مخلوق"(٤)، وهذا القول من ابن جميع يوافق ما عليه أهل المغرب فيما هم عليه من الاعتقاد في هذه المسألة.

ولعل ابن جميع لم يصله ما عليه أهل المشرق من خلاف في مسألة خلق القرآن.

المطلب الأول: شبهات الإباضية القائلين بخلق القرآن وأدلتهم:

شبهات الإباضية المشارقة وأدلتهم:

سالم بن حمد الحارثي: يقول بعد أن نقل كلام صاحب كتاب منهج الطالبين: "والراجح –عندي- كونه حادثًا، بدليل قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾(٥).

واللوح المحفوظ حادث، وليس من الجائز أن يشتمل حادث على قديم، وكذلك القول في الأوراق التي تحوي الآيات الكريمة، والله الموفق"(٦).

سالم بن حمود السيابي: "الإباضية يقولون: أن الله خالق كل شيء، والقرآن شيء من الأشياء، وقال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾(٧).

والقرآن شيء من الأشياء، وهو كلام الله خلقه الله وقدره بحسب الحوادث التي ستكون من العباد كما اقتضاها قضاؤه وقدره، فإن دلائل الحدوث في نفسه ظاهرة، وهي شاهدة بخلقه، ولو كان غير مخلوق لكان قديمًا، ولو كان قديمًا لكان مشاركًا لله في صفة القدم، ولو شاركه في صفة القدم لتعددت القدماء... ولو كان متكلمًا كخلقه لزم له ما يلزم لخلقه من اللسان التي هي آلة الكلام، ولزم له أشداق وفم يخرج منه الكلام، وهذا باطل عقلًا، ثم وصفه الله بأنه حادث في قوله وجل: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾(٨)، ووصفه بأنه منزل من اللوح، وكان حالًا فيه، والتنزيل صفة الحدوث، وكونه حالًا في اللوح فاللوح حادث، ولا يحل في الحادث إلا حادث عقلًا

(١) يستحسن المغاربة أن ينطق اللفظ بالكسر (الإباضية)، أما المشارقة فيستحسنون الفتح (الأباضية).
(٢) يقصد: مفتي الديار العمانية: أحمد بن حمد الخليلي في كتابه الحق الدامغ، ص١٢٢.
(٣) الخوارج: د. ناصر العقل، ص٧٨.
(٤) نقلًا من كتاب شرح مقدمة التوحيد: د: محمد بن يوسف أطفيش، ص٥٥٢.
(٥) سورة البروج: آية ٢١- ٢٢.
(٦) هامش كتاب منهج الطالبين: خميس بن سعيد الرستاقي, ٢٠٣/١.
(٧) سورة الفرقان: جزء من آية ٢.
(٨) سورة الأنبياء: آية ٢.

وبديهة، وهذه الصفات كلها تعطي معنى الحدوث، ووصفه بأنه آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، وصدورهم حادثة، والحال في الحادث حادث قطعًا؛ لأن القديم منزه عن الحوادث، فالله -عز وجل- لا يطرقه معنى الحدوث ولا يليق به تعالى"(١).

أحمد الخليلي - مفتي الديار العمانية - يعرف القرآن بقوله: "والقرآن هو: الكلام المنزل بحروفه وكلماته على النبي محمدﷺ، المعجز بتراكيبه ومعانيه، المنقول عنه بالتواتر القطعي".

ويقول في نهاية هذا المبحث من كتابه "الحق الدامغ" ملخصًا ما توصل إليه في مسألة خلق القرآن:

"لست بمرتاب أخي القارئ أنك بعد اطلاعك على ما احتواه هذا المبحث من أخذ ورد، واجتذاب ودفع في مسألة خلق القرآن تدرك أن الصواب والسلامة في اعتقادك أنه كسائر الموجودات، غير الله عز وجل، كائن بعد أن لم يكن، وما كان كذلك فهو مخلوق قطعًا، كما تدرك أن القول بقِدمه يفتح الباب على مصراعيه لمن يقول بجواز تعدد القدماء حتى يفضي الأمر إلى القول بقِدم العالم، وقد رأيت أثر ذلك فيما نقلته لك من كلام المنتصرين للقول بقِدمه، والمتشددين على القائلين بحدوثه، فقد أفضى الحال ببعضهم إلى القول بقِدم سائر الكلام، لما بينهما من التشابه في أصول الأحرف والكلمات التي ينتظم منها كل منهما، وأفضى ببعضهم إلى القول بقِدم الجلد والوتد وما حوله من الجدار، وما الذي يمنع بعد ذلك من الانجرار وراء هذا التسلسل غير المحدود، حتى ينتهي إلى القول بقِدم كل شيء، أو إلى فلسفة وحدة الوجود والعياذ بالله.

...وقد أدركتَ ضعف الشبهات التي تعلقوا بها وتناقض كلامهم واضطراب استدلالهم، فإن أقوى ما استندوا إليه في نفي الخلق عنه أنه كلام مضاف إلى الله تعالى في نحو قوله سبحانه: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾(٢)، وقد غفلوا عن كونهم بهذا الاستدلال يعطون النصارى حجة فيما يعتقدونه من أن المسيح عليه السلام ابن لله أو جزء منه، لإخباره تعالى عنه أنه: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾(٣)"(٤).

شبهات الإباضية المغاربة وأدلتهم:

محمد أطفيش: الذي يشدد اللهجة على من يجيز عدم الإنكار على القائلين بالقدم، وهاك موقفه بعد عرض موقفين من مواقف أهل عمان ملتمسًا مخرجًا للموقف الأول.

"إن من أهل عمان من أصحابنا من يقول بقدمه (القرآن) على معنى العلم به إجمالاً وتفصيلاً، لفظًا ومعنى، على ما سيكون إذا خلقه، وهذا لا بأس به، إلا أن التلفظ بقدمه هكذا لا يجوز؛ لأنه يوهم ما لا يجوز.

ومنهم من يقول -كما يقول سائر أهل المذهب- إنه مخلوق حادث ولا يسمى قديمًا، وعلم الله قديم قطعًا.

(١) الحقيقة والمجاز في تاريخ الإباضية باليمن والحجاز: سالم بن حمود السيابي، ص٢٧ - ٢٨.
(٢) سورة التوبة: آية ٦.
(٣) سورة النساء: آية ١٧١.
(٤) الحق الدامغ: أحمد الخليلي، ص١٣٥.

... وفي بعض الأثر أنه لم ينكر سائر أصحابنا على من يقول بقدمه من أصحابنا لئلا ينتشر الخلاف والفتن وهو ضعيف؛ لأن المسألة من الأصول عند التحقيق؛ لأن مرجعها إلى الكلام النفسي، وفي العقيدة "ليس منا من قال إن القرآن ليس بمخلوق"، فكيف يسوغ فيها السكوت عن الإنكار"(١).

كما أن محمد اطفيش يعتبر أن القرآن عرض، فيقول: "وأي ضرر في أن القرآن عرض يفنى ويتجدد، تقيده القلوب والأوراق... وليس كل محدث سريع الفناء فهل العرش والكرسي والسماوات والأرض ونحوهم سريعو الفناء...."(٢).

بكير بن سعيد أعوشت: "ويمكن أن نضيف عنصرًا آخر، وذلك أن القرآن العزيز المحصور بسوره وآياته، وفيه النسخ -أي: رفع حكم شرعي سابق بنص لاحق- فلا يجوز أن يقع النسخ في القديم، وهذا دليل الحدوث -إذن- أن القرآن الكريم محدث.

والخلاصة: أن الإباضية تقر أن القرآن الكريم مخلوق كالأشياء"(٣).

الدكتور: فرحَات بن علي الجعْبيري: يقول في مسألة القول بخلق القرآن: "وبعد هذا يحسن أن نشير إلى مسألة تتصل بالخلق، فبما أنه مخلوق فهل هو جسم أو عرض؟

وأن بيّنت المصادر الإباضية أن القرآن مخلوق فإنها لم تعتبره جسمًا؛ لأنه لو كان جسمًا لكان قائمًا بنفسه ومحتملًا للصفات بل تعتبره شيئًا، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ [الأنعام: ٩١].

فالقرآن حينئذ كلام الله مخلوق ليس بجسم إلا أنه شيء وعرض"(٤).

ويمكن أن نجمل حجج الإباضية والأدلة التي استندوا إليها في دعم شبهاتهم في المسألة على النحو الآتي:

الحجج النقلية التي استدل بها الإباضية:

من القرآن الكريم:

– إن القرآن ذكر، والذكر محدث، فيكون القرآن محدثًا بدليل قوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾(٥)، **وقوله تعالى:** ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾(٦).

فالذكر هو القرآن لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾(٧).

– القرآن مجعول، وكل مجعول متغير، وكل متغير محدث، ينتج أن القرآن محدث بدليل قوله تعالى:

(١) شرح الدعائم: محمد أطفيش، ٢٢٤/١.
(٢) المصدر السابق: ٢٧٣/١.
(٣) دراسات إسلامية في الفرق الإباضية: بكير بن سعيد أعوشت، ص٨٦- ٨٧.
(٤) البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، فرحات بن علي الجعبيري، ص٣٩٤.
(٥) سورة الأنبياء: آية ٢.
(٦) سورة الشعراء: آية ٥.
(٧) سورة الحجر: آية ٩.

﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾[1]، **وقوله تعالى:** ﴿ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾[2]، فالجعل بمعنى الخلق كما في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ ﴾[3]، **وقوله:** ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾[4]، **وقوله:** ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ ﴾[5]، وفي أمثالها فلا فرق بين الجعلين[6].

– **قوله تعالى:** ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[7]، ووجه الاستدلال به أن الله وصفه فيه بالإحكام والتفصيل، وكل منهما أثر صادر عن مؤثر، ولا يجوز أن يكون الأثر قديمًا أزليًا لضرورة أن يكون مؤثره سابقًا عليه، والمسبوق حادث؛ لأنه -بداهة- كائن بعد أن لم يكن، فيدل على أن القرآن مركب، وكل مركب حادث[8].

– **قوله تعالى:** ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾[9] والمسموع لا يكون إلا حروفًا وأصواتًا وذلك حادث، وبهذا الاستدلال يعطون النصارى حجة فيما يعتقدونه من أن المسيح عليه السلام ابن لله أو جزء منه، لإخباره تعالى عنه أنه: ﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾[10][11].

– **قولة تعالى:** ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾[12]، ووجه الاستدلال به أنه منزل، والإنزال نقل من مكان إلى آخر، وهو مستحيل على القديم لتعذر أن يكون لأحد عليه سلطان، أو أن يكون متغير الأحوال، وبهذا الوصف يكون القرآن حادث ضرورة[13].

---

(١) سورة الزخرف: آية ٣.
(٢) سورة الشورى: آية ٢٥.
(٣) سورة يونس: آية ٦٧.
(٤) سورة الأعراف: آية ١٨٩.
(٥) سورة النمل: آية ٦١.
(٦) ينظر: الحق الدامغ: أحمد الخليلي: ص١٢٤.
(٧) سورة هود: آية ١.
(٨) ينظر: روض البيان على فيض المنان: نور الدين السالمي، ص٥٩.الحق الدامغ: أحمد الخليلي: ١٣٠.
(٩) سورة التوبة: آية ٦.
(١٠) سورة النساء: آية ١٧١.
(١١) ينظر: روض البيان على فيض المنان: نور الدين السالمي، ص٥٨. الحق الدامغ: أحمد الخليلي: ص١٣٥.
(١٢) سورة البقرة: آية ١٨٥.
(١٣) ينظر: روض البيان على فيض المنان: نور الدين السالمي، ص٥٩. الحق الدامغ: أحمد الخليلي: ص١٣١.

من السنة النبوية:

– قوله عليه السلام في دعائه: "يا رب القرآن العظيم ورب طه ويس"(١)، والقرآن مربوب كلا وبعضًا، والمربوب محدث إتفاقًا(٢).

– عن أبي سعيد بن المعلى قال : كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله إني كنت أصلي، فقال: "ألم يقل الله: (استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم؟" ثم قال: "لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد"، ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: "الحمد لله رب العالمين"، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته"(٣).

– روى البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: "أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟" فشق ذلك عليهم وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: "الله الواحد الصمد ثلث القرآن"(٤).

– عن معقل بن يسار ﷺ أن النبيﷺ قال: "البقرة سنام القرآن وذروته، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكًا، واستخرجت (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) من تحت العرش فوصلت بها"(٥).

والأحاديث في سياق فضل سور القرآن وآياته كثيرة.

ووجه الاستدلال بهذه الأحاديث على خلق القرآن، أنها ناصة على أن بعضه أعظم من بعض وأفضل، وأن بعضه سنام لسائره، وأن بعضه كان مفصولًا عن غيره ثم وصل به، وكل ذلك غير جائز على القديم، ألا ترى أنه لا يجوز تفضيل بعض صفات الله على بعض، فلا يقال إن علمه أفضل من قدرته أو العكس.... وإذا امتنع ذلك في مجموع الصفات، فلأن يمتنع في الصفة الواحدة أحرى، فلا يبعَّض علم الله فيفضل بعضه على بعض، ولا تجزأ قدرته فيجعل منها أعظم من غيره، كما لا يمكن أن يكون جزء من صفة منفصلًا عنها ثم يوصل بها(٦).

الحجج العقلية التي استدل بها الإباضية:

– إن القرآن يتكون من حروف، وحركات وأصوات مقطعة وآيات محكمة ومتشابهة وناسخ ومنسوخ وأجزاء وأحزاب..... كل هذا من علامات الحادث.

فحروف القرآن هي نفس الحروف التي ينتظم منها كلام العرب، نثره ونظمه.. ويشاركه فيها سائر كلام البشر، فإن كان القرآن قديمًا لزم قِدم كلام الناس لتركب كلامهم من هذه الحروف بعينها، ويلزم من ذلك كون الكلام سابقًا على المتكلمين به وإلا فكيف يتألف القديم من الحوادث؟

---

(١) لم أجد له أصل في الصحاح والسنن والمسانيد وكتب الزوائد.

(٢) معالم الدين: عبدالعزيز المصعبي، ج٢/ص١٥. ملف word من الشبكة العنكبوتية.
library.al- kawkab.com/print/72

(٣) صحيح البخاري: باب ما جاء في فاتحة الكتاب، برقم ٤٤٧٤، ١٧/٦.

(٤) صحيح البخاري: باب فضل قل هو الله أحد، برقم ٥٠١٥، ١٨٩/٦.

(٥) مسند الإمام أحمد، مسند البصريين، برقم ٢٠٣٠٠، ٤١٧/٣٣. قال محققوا هذا الجزء (شعيب الأرنؤوط وآخرون): إسناده ضعيف.

(٦) الحق الدامغ: أحمد الخليلي: ص١٣٣، بتصرف

كما أن كل حرف منه يفتقر إلى غيره لتتألف منها كلماته، وكل كلمة منه بحاجة إلى أخواتها لتتركب منها جملة، وهي في ذلك متغايرة غير مستغن بعضها عن بعض، وفيه النسخ فلا يجوز أن يقع النسخ في القديم، وهذا دليل الحدوث(١).

– لا يمكن أن يعتبر القرآن صفة لله؛ لأن كلامنا ليس في الكلام النفسي الذي هو صفة ذاتية لله عز وجل والذي تثبت بثبوته قدرته تعالى على الكلام، وإنما كلامنا في كلام منزل متركب من الحروف تتلوه الألسن وتسمعه الآذان وتعيه العقول، وتختزنه الأذهان، ويدون في الصحف، وهل لذلك مثيل من صفاته تعالى الذاتية؟ فمفهوم الكلام النفسي يختلف عن مفهوم الكلام اللفظي، والقرآن هو كلمة الله، هو ليس صفة له ولا لذاته ولا لعلمه، والقول بأن القرآن كلام الله والذي يعتبر صفة من صفاته يحتاج إلى وحي صريح أو توقيف، وهذا غير موجود(٢).

– القرآن شيء غير الله عز وجل، فلو قيل بقدمه بطلت الوحدانية في القدم؛ لأنه يلزم حينئذ وجود قديمين، وأن الله خالق كل شيء، وما سواه مخلوق كائنًا ما كان، والقرآن داخل ضمن هذا العموم ولا دليل على استثنائه فهو حينئذ شيء مخلوق، ومن ثم القول بأن القرآن قديم أزلي يجعله بهذا الاعتبار هو الله، وهذا القول يجعل أصحابه من اليعقوبية(٣)(٤).

"أن تجويز تعدد القدماء منافٍ للوحدانية، التي هي أخص صفاته تعالى؛ لأنه يفضي إلى جواز تعدد الآلهة، فإن الإله الحق سبحانه وتعالى إنما استحق الألوهية لسبقه على كل شيء في الوجود، فلو كان له مقارن في الأزلية لجاز لذلك المقارن أن يشاركه في الألوهية، إذ لا يمنع مانع من كونه خالقًا رازقًا مدبّرًا حكيمًا"(٥).

– أن كل ما ثبت قِدمه استحال عدمه، فإن وجود القديم وجود ذاتي، واجب لا يفتقر إلى مرجِّح، بخلاف وجود الجائز فيستحيل أن يكون لغيره سلطان عليه، إثباتًا أو إزالة، إنزالًا أو رفعًا، إبقاءً أو إذهابًا، والله تعالى يقول: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾(٦)(٧).

– كما أن الكلام المنزل جائز التعليل كما تعلل سائر أفعال الله تعالى، فيقال: كلَّم الله موسى ليصطفيه على غيره بهذه المزية، وكلَّم الله عباده بالقرآن ليقيم عليهم حجته ويهديهم سبله... وذلك غير جائز في سائر صفاته تعالى، كما لا يجوز تعليل ذاته عز وجل، فلا يقال قدر الله علي كذا لأجل كذا، ولا علم كذا من أجل كذا؛ ولا أبصر كذا بسبب كذا، وهكذا في سائر الصفات(٨).

---

(١) ينظر: الحق الدامغ: أحمد الخليلي: ص١٢٣- ١٢٤. دراسات إسلامية في الفرق الإباضية: بكير أعوشت، ص٨٦-٨٧.

(٢) ينظر: الحق الدامغ: أحمد الخليلي: ص١٢٤. شرح الدعائم: محمد أطفيش، ٢٢٤/١.

(٣) اليعقوبية: طائفة من النصارى تنسب إلى: يعقوب البرذاعي: راهب بالقسطنطينية، تقول هذه الطائفة أن المسيح هو الله تعالى نفسه، وأن الله تعالى عن عظيم كفرهم مات وصلب وقتل وأن العالم بقي ثلاثة أيام بلا مدبر... ثم قام ورجع كما كان، وأن الله تعالى عاد محدثًا، وأن المحدث عاد قديمًا، وأنه تعالى هو كان في بطن مريم محمولا به. الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم: ١١١/١.

(٤) ينظر: مشارق أنور العقول: أبو محمد عبدالله بن حميد السالمي، ج٦٢/٢-٦٣. الحق الدامغ: أحمد الخليلي: ص١٢٤. الحقيقة والمجاز في تاريخ الإباضية باليمن والحجاز: سالم بن حمود السيابي، ص٢٧.

(٥) الحق الدامغ: أحمد الخليلي: ص١٢٢.

(٦) سورة الأسراء: آية ٨٦.

(٧) الحق الدامغ: أحمد الخليلي: ص١٢٣.

(٨) الحق الدامغ: أحمد الخليلي: ص١٢٣.

– "أن جميع الأشياء في صفاتها وبالنظر إلى وجودها: إما واجبة الوجود وما كذلك شيء إلا الله عز وجل، وإما أن تكون جائزة الوجود، وذلك هو جميع ما عدا الله عز وجل من الموجودات في الحال أو من المعدومات التي ستوجد أو وجدت، مستحيلة الوجود كوجود شريك مع الله تعالى، ولا شك أن القرآن شيء عدا الله فهو جائز الوجود، وما كان جائز فهو مخلوق"(١).

– اقتران الكلام بالزمان نحو قولك: "كلم الله موسى" عندما ذهب إلى الطور، ومن المعروف أن صفاته -عز وجل- سابقة على الأزمنة فلا يجوز اقترانها بها(٢)، كما أن خطابه تعالى للأنبياء مختلف من نبي لآخر، فخطابه لموسى غير خطابه لإبراهيم، وخطابه لبني إسرائيل غير خطابه للعرب، ثم إن كل خطاب يتبدل بتبدل الزمان والمكان، وهما مخلوقان(٣).

– وُصِف القرآن بأنه منزل من اللوح المحفوظ، وكان حالًّا فيه، والتنزيل صفة الحدوث، وكونه حالًّا في اللوح فاللوح حادث، ولا يحل في الحادث إلا حادث عقلًا وبديهة، وليس من الجائز أن يشتمل حادث على قديم(٤).

– "ووصفه بأنه آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، وصدورهم حادثة، والحال في الحادث حادث قطعًا؛ لأن القديم منزه عن الحوادث، فالله -عز وجل- لا يطرقه معنى الحدوث ولا يليق به تعالى"(٥).

فهذه أبرز الحجج للإباضيين المعاصرين في إثبات القول بخلق القرآن، معتمدين على هذه المقدمات المحتملة، والخروج بنتائج من خلالها.

المطلب الثاني: الرد على الإباضية القائلين بخلق القرآن:

الرد الإجمالي:

– إن القول بخلق القرآن لم يقل به صحابة رسول الله ﷺ، ولا تابعيهم، بل علماء الإباضية المتقدمين ينكرون على من يقول بأن القرآن مخلوق ويتبرؤن منه، فكيف لهؤلاء بعد أن نقلوا كلام أسلافهم وما هم عليه من المذهب في هذه المسألة يخالفهم فيما ذهبوا إليه؟ فقولهم يوجب البراءة منهم ومما ذهبوا إليه.

فهذا الشيخ خميس بن سعيد الرستاقي - أحد علماء الإباضية في القرن العاشر الهجري- يتبرأ ممن يقول بأن القرآن محدث، فيقول: "....لأن القرآن: علم الله وكلامه، وكلامه علمه، فمن قال: إن علم الله وكلامه محدث وجهت منه البراءة"(٦).

– قدماء الإباضية لم يكونوا أهل كلام وتأويل وفلسفات، أو ممن يقدمون العقل على النص، إنما كانوا في مسألة القرآن على المنهج الصحيح، أما الإباضية المعاصرة فقد انغمسوا في الكلاميات

(١) روض البيان على فيض المنان في الرد على من ادّعى قِدَم القُرآن: لنور الدين عبدالله السالمي، المحقق: عبدالرحمن بن سليمان السالمي، ص١٠.
(٢) الحق الدامغ: أحمد الخليلي: ص١٢٣.
(٣) ينظر: روض البيان على فيض المنان: لنور الدين عبدالله السالمي، المحقق: عبدالرحمن بن سليمان السالمي، ص١٠.
(٤) ينظر: الحقيقة والمجاز في تاريخ الإباضية باليمن والحجاز: سالم بن حمود السيابي، ص٢٧ وما بعدها. هامش كتاب منهج الطالبين: خميس بن سعيد الرستاقي، ٢٠٣/١.
(٥) الحقيقة والمجاز في تاريخ الإباضية باليمن والحجاز: سالم بن حمود السيابي، ص٢٨.
(٦) منهج الطالبين وبلاغ الراغبين: خميس الرستاقي، ٢٠٣/١.

والفلسفات والعقليات المتكلفة والتأويل، حتى أصبحت فرقة كلامية، وهذا الأمر الذي جعلها تخوض في كلام الله، والقول بخلق القرآن، فاختلطت عقيدتها بالعقائد الأخرى الجهمية والمعتزلة وأهل الكلام، فالقول الذي ذهبت إليه الإباضية في المسألة، والشبهات التي أوردتها ما هي إلا محاكاة وتقليد لأهل الأهواء والبدع من أهل الفرق الكلامية مع انتقادهم لها(١).

الرد التفصيلي:

أولًا: إن ما ذهب إليه الإباضية من استدلال بآية النسخ على أن القرآن حادث، هو أشبه إلى ما ذهبت إليه اليهود وبعض النصارى، فقد سوَّوا بين النسخ والبَداء- وهو ظهور الشيء بعد خفاء، أو نشأة رأي جديد- فلا يمكن أن نماثل بين النسخ والبداء، فإن الأمر متعلق بعلم الله وكلامه، وكلاهما صفتان أزليتان، والقول بحدوث القرآن يلزمه سبق الجهل وحدوث العلم -تعالى الله عن ذلك-، والجهل الحدوث عليه محالان؛ لأن العقل السليم، دلَّنا على أن خالق هذا العالم ومدبّره متصف أزلًا وأبدًا بالعلم الواسع المطلق المحيط بكل ما كان وما سيكون وما هو كائن، أما أدلة النقل فنصوص فياضة ناطقة بأنه تعالى أحاط بكل شيء علمًا، وأنه لا تخفى عليه خافية: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾(٢)، فقولهم بأن القرآن مخلوق، وكل مخلوق حادث، هذه النتيجة ستؤدي بهم إلى الطعن في علم الله.

والقول بالبَداء إنما كان سبحانه يعلم الناسخ والمنسوخ أزلًا من قبل أن يشرعهما لعباده، بل من قبل أن يخلق الخلق، ويبرأ السماء والأرض، إلا أنه -جلّت حكمته- علم أن الحكم الأول المنسوخ منوط بحكمة، أو مصلحة تنتهي في وقت معلوم، وعلم جانب هذا أن الناسخ يجيء في هذا الميقات المعلوم منوطًا بحكمة وبمصلحة أخرى، ولا ريب أن الحكم والمصالح تختلف باختلاف الناس، وتتجدد بتجدد ظروفهم وأحوالهم، وأن الأحكام وحكمها، والعباد ومصالحهم، والنواسخ والمنسوخات، كانت كلها معلومة لله من قبل، ظاهرة لديه لم يخف شيء منها عليه، فما دامت الآيات المنسوخة في كتاب الله -عز وجل- وآيات من آياته، إذًا هي غير حادثة، لا يقول بخلاف هذا أحد من أهل السنة، إنما هي من علم الله الأزلي(٣).

ثانيا: استدلال الإباضية على أن القرآن حادث بقوله: ﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾(٤).

هذه دعوى الجهمية بنصها ما زادوا ولا أنقصوا شيئًا منها، فالجهمي ادعى أن القرآن مخلوق، فقال: أنا أجد في الكتاب آية تدل على أن القرآن مخلوق، فقيل له: أية آية هي؟ قال: قول الله عز وجل: ﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾(٥)، أفلا ترون أن كل محدث مخلوق؟

(١) ينظر: دراسات في الأهواء والفرق والبدع: د. ناصر بن عبدالكريم العقل، ص١٨١-١٨٢.
(٢) منهج الطالبين وبلاغ الراغبين: خميس الرستاقي، ٢٠٣/١.
(٣) ينظر: مناهل العرفان: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، ١٩٧/٢- ١٩٨.
(٤) سورة الأنبياء: آية ٢.
(٥) سورة الأنبياء: آية ٢.

فيقال له: إن الذي لم يزل به عالمًا لا يكون محدثًا، فعلمه أزلي كما أنه هو أزلي، وفعله مضمر في علمه، وإنما يكون محدثًا ما لم يكن به عالمًا حتى علمه.

ومعنى الآية: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[1] إنما أراد: أن علمك يا محمد ومعرفتك محدث بما أوحي إليك من القرآن، وإنما أراد: أن نزول القرآن عليك يحدث لك ولمن سمعه علمًا وذكرًا لم تكونوا تعلمونه، ألم تسمع إلى قوله: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾[3]، فأخبر أن الذكر المحدث هو ما يحدث من سامعيه وممن علمه وأنزل عليه، لا أن القرآن محدث عند الله، ولا أن الله كان ولا قرآن؛ لأن القرآن، إنما هو من علم الله، فمن زعم أن القرآن هو بعد، فقد زعم أن الله كان ولا علم ولا معرفة عنده بشيء مما في القرآن، ولا اسم له، ولا عزة له، ولا صفة له حتى أحدث القرآن.

ثم أن الله -عز وجل- يخبر أنه لا يأتيهم ذكر محدث إلا استمعوه وهم يلعبون، ولم يقل لا يأتيهم ذكر إلا كان محدثًا، وإذا لم يقل هذا لم يوجب أن يكون القرآن محدثًا.

ولو قال قائل: ما يأتيهم رجل من التميميين يدعوهم إلى الحق إلا أعرضوا عنه، لم يوجب هذا القول أنه لا يأتيهم رجل إلا كان تميميًا، فكذلك الحكم فيما سألونا عنه[4].

ولماذا حمل أفضل "الذكر" على هذا المعنى الذي ذهبوا إليه، فقد جاء "الذكر" على معانٍ أخرى:

فقد جاء في كتاب الله أن الذكر يقصد به النبيﷺ فقال عز من قائل: ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[5].

فالذكر الموصوف في الآية بأنه محدث هو الرسولﷺ؛ لأنه قد سماه الله في آية أخرى ذكرًا. فقال تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ﴾، فسماه ذكرًا في هذه الآية، فيكون المعنى: ما يأتيهم من رسول من ربهم محدث.

ويحتمل أن يكون المراد بالذكر هنا هو وعظ الرسول وتحذيره إياهم من المعاصي، فسمى وعظه ذكرًا وأضافه إليه، لأنه فاعل له.

وقيل: رجوع الإحداث إلى الإنسان لا إلى الذكر القديم؛ لأن نزول القرآن على رسول الله كان شيئًا بعد شيء، فكان يحدث نزوله حينًا بعد حين.

---

(١) سورة الأنبياء: آية ٢.
(٢) سورة النساء: آية ١١٣.
(٣) سورة طه: آية ١١٣.
(٤) ينظر: الإبانة الكبرى: الإبانة الكبرى: ابن بطة: جـ٦/ ص١٨٤-١٩٦.
(٥) سورة الطلاق: آية ١٠-١١.

وقيل: جاء الذكر بمعنى العلم كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾(١)، ويأتي بمعنى الشرف والشأن والمكانة، ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾(٢)، أي: ذي الشأن والمكانة، وبمعنى الصلاة كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾(٣).

فإذا كان الذكر يجيء بهذه المعاني وهي كلها محدثة كان حمله على أحد هذه المعاني أولى(٤)؛ لأنها أصرح، والصريح مقدم على المؤول.

ثالثًا: أما من حيث ما ذهبت إليه الإباضية المعاصرة باحتجاجها أن القرآن مركب من حروف وحركات وأصوات مقطعة، وأجزاء وأحزاب، وهي نفس الحروف التي ينتظم منها كلام العرب، نثره ونظمه، وهذا كله علامات الحادث.

فالجواب عن ذلك في الآتي:

أن هذا القرآن أنزله الله للبيان والتشريع والإعجاز، وقد أعجز الله به العرب كافة وبلسانهم، فهذا القرآن الذي سمعه جبريل عليه السلام من الله تعالى بلا واسطة أنزله على محمد ﷺ بحروفه ومعانيه كما سمعه من ربه عز وجل، وليس هو بعبارة من جبريل عليه السلام ولا محمد ﷺ، وكيفما تصرف فهو كلام الله وأنه سبحانه يتكلم بحرف وصوت، كما نادى موسى لما أتى الشجرة: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾(٥)، وينادي عباده يوم القيامة بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: "أنا الملك أنا الديان"(٦)، "وأن مثل هذا مما يخاطب به رسله وملائكته ومن شاء من عباده، أو ينزل عليهم من كتبه من آحاد كلامه غير الأزلي، دليل على أنه غير مخلوق؛ لأنه من صفاته وصفاته كلها غير مخلوقة"(٧).

فالقرآن الذي بين أيدينا هو كلام الله حقيقة حروفه ومعانيه، وهو صفة من صفاته؛ لأنه كلام الله تعالى وكلامه سبحانه قديم النوع حادث الآحاد، فالله تعالى تكلم به، وأسمعه الملك فنزل به على نبينا ﷺ، والكلام لمن قاله مبتدئًا لا لمن قاله مبلغًا، وهو عند السلف صفة ذات ملازمة لذات الله تعالى لم تخل منها في وقت من الأوقات، وهي صفة فعل أيضًا؛ لأنه متكلم متى شاء كيف شاء بحرف وصوت، كما ورد ذلك في النصوص الصريحة(٨).

---

(١) سورة النحل: آية ٤٣.
(٢) سورة ص: آية ١.
(٣) سورة الجمعة: آية ٩.
(٤) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: بدرالدين العيني: ٢٦٩/٢٥.
(٥) سورة طه: آية ١٢.
(٦) صحيح البخاري: باب قول الله تعالى: {ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير} [سبأ: ٢٣]، برقم٧٤٨١، (١٤١/٩) يقول الإمام البخاري موضحًا لأهل الكلام المؤولة لكلام الله بأن الله يتكلم بحرف وصوت، فيقول: "ولم يقل: ماذا خلق ربكم".
(٧) أصول الدين الإسلامي مع قواعده الأربع: الإمام محمد بن عبدالوهاب، ص٣٠.
(٨) البيهقي وموقفه من الإلهيات، د. أحمد بن عطية بن علي الغامدي، ص٢٧١.

طالما أن الإباضية يذهبون إلى القول بخلق القرآن كون كل كلمة في القرآن بحاجة إلى أخواتها لتتركب منها جملة، وأن حروف القرآن هي نفس الحروف التي ينتظم منها كلام العرب، نثره ونظمه.

يقال لهم: أجيبونا، إذا قرأت آية من القرآن هذا قول الله أم قول البشر؟ فإن قال: هو قول الله فقد رجع إلى ما عليه السلف وأهل الحق.

وإن قال: بل هو قول البشر، قلنا عن ذلك أجوبة: أحدها: أن يقال له: فهذا قول الوليد بن المغيرة فيما أخبر الله عنه بقوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾[1]، فقال الله متوعدا له على قوله هذا: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[2].

فلو كان قوله بذلك صحيحًا لما توعد الله عليه.

الجواب الثاني: أن يقال له: فمن البشر الذي هذا قوله، فليس أحد يدعي أن هذا قوله بل الكل منهم يقولون هذا قول الله، وإذا سمعوا القارئ بهذا الكلام قالوا صدق الله، من البشر الذي يقول: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾[3].

والجواب الثالث: أن يقال له: إذا كان هذا من قول البشر فأت بسورة من مثله، وإن قال: بل هو كلام البشر عبارة عن كلام الله والمفهوم منه كلام الله، قيل له: فمن البشر الذي سمع كلام الله القديم القائم بنفس الله فعبر عنه بهذا الكلام، فيضاف هذا الكلام إليه، ويقال هذه عبارة فلان، فإن أحدًا لا يدعي أنه عبارته.

فإن قال: هو عبارتي عن كلام الله. قلنا له: فحقيقة المعبر أن يسمع كلامًا فيعبر عنه، وأنت لم تسمع كلام الله حقيقة، وإنما سمعت قول معلمك فعبرت عن قول معلمك، ومعلمك سمع قول معلمه، فصرت معبرًا عن عبارة معلمك، إلى أن يتناهى إلى الصحابةﷺ وهم لم يسمعوا قول الله حقيقة، وإنما سمعوا عبارة النبيﷺ عن عبارة جبريل، ولا أدري عمن عبر عنه جبريل[4].

وبهذا القول من الإباضية بأن القرآن قد شاركه الناس بكلامهم فيه، فقد جعلوا كلام الله لا يقوم إلا بغير الله، فكان المتصف به هو ذلك الغير، ولم يصرح بحقيقة ذلك القول إلا الاتحادية، كابن عربي ونحوه الذين يقولون: وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه[5].

رابعًا: قول الإباضية أن القرآن شيء، وأن الله خالق كل شيء، وما سواه مخلوق كائنًا ما كان، والقرآن داخل ضمن هذا العموم ... فهو حينئذ شيء مخلوق، فهذا القول سبقهم إليه الجهمية، وقد رد عليهم أهل السنة بما هو كاف لإبطال هذه الشبهة، فقالوا:

إن الجهمي إذا قال: أخبرونا عن القرآن، هل هو شيء أو لا شيء؟

فلا يجوز أن يكون جوابه: لا شيء، فيقال له: هو شيء، فيظن حينئذ أنه قد ظفر بحجته ووصل إلى بغيته، فيقول: فإن الله يقول: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[6]، والقرآن شيء يقع عليه اسم شيء، وهو

(١) سورة المدثر: آية ٢٥.
(٢) سورة المدثر: آية ٢٦.
(٣) سورة طه: آية ١٤.
(٤) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، أبو الخير العمراني، ١٦٤/٢-١٦٥.
(٥) ينظر: مجموع الفتاوى: شيخ الإسلام ابن تيمية: ١٧٤/١٢.
(٦) سورة الأنعام: آية ١٠٢.

مخلوق؛ لأن الكل يجمع كل شيء، فيقال له: أما قولك: إن الكل يجمع كل شيء، فقد رد الله عليك ذلك وأكذبك القرآن، قال الله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾[1]،... فإن زعمت أن الله لا نفس له، فقد أكذبك القرآن ورد عليك قولك، قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾[2]، وقال فيما حكاه عن عيسى عليه السلام : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾[3] فقد علم من آمن بالله واليوم الأخر أن كتاب الله حق، وما قاله فيه حق، وأن لله نفسًا، وأن نفسه لا تموت، وأن قوله: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾[4] لا تدخل في هذا نفس الله، وكذلك يخرج كلامه من الكلام المخلوق، كما تخرج نفسه من الأنفس التي تموت[5].

ومن الدلالات على أنه لا يعني كلامه مع الأشياء المخلوقة قوله لملكة سبأ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾[6]، وكان ملك سليمان شيئًا ولم تؤته، وهل أوتيت القرآن؟ أم أوتيت النبوة؟ أوتيت كذا وكذا؟ فكذلك إذا قال الله: "كل شيء" لا يعني كلامه مع الأشياء المخلوقة، فقد وصف الله -عز وجل- كتابه بوصف لا يقع عليه شيء من مسألته، فقال الله عز وجل: ﴿ الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[7]، "فهو من الله عز وجل ولم يقل هو أنا ولا هو غيري، إنما سماه كلامه، فليس له عندنا غير ما حلاه به وننفي عنه ما نفى"[8].

فكل شيء من صفات الله أعظم الأشياء، وأنها كلها غير مخلوقة لأنها صفات الخالق ومن الخالق، فليس يدخل في قوله: ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[9]، لا كلامه، ولا عزته، ولا قدرته، ولا سلطانه، ولا عظمته، ولا جوده؛ لأن الله تعالى لم يزل بقوله وعلمه وقدرته وسلطانه وجميع صفاته إلهًا واحدًا، وإنما أبطل الجهمي صفاته يريد بذلك إبطاله[10].

خامسًا: أن الإباضية لم تسلم مما وقع فيه المعتزلة من نفي الصفات عن الذات، ليصلوا من ذلك الأصل الباطل إلى أن القرآن مخلوق.

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٨٥.
(٢) سورة الأنعام: آية ٥٤.
(٣) سورة المائدة: آية ١١٦.
(٤) سورة آل عمران: آية ١٨٥.
(٥) الإبانة الكبرى: ابن بطة: جـ٦/ ص١٤٩. تحقيق: د. يوسف بن عبدالله الوابل.
(٦) سورة النمل: آية ٢٣.
(٧) سورة السجدة: آية ١-٢.
(٨) السنة: عبدالله بن أحمد بن حنبل: جـ١/١٦٣.
(٩) سورة الأنعام: آية ١٠٢.
(١٠) الرد على الجهمية والزنادقة: الإمام أحمد بن حنبل، ص١١٣- ١١٨، الإبانة الكبرى: ابن بطة: جـ٦/ ص١٤٩. تحقيق: د. يوسف بن عبدالله الوابل. بتصرف.

والعجيب من الإباضية أنهم يثبتون لله صفة العلم والقدرة وغيرهما، وإليك نص الخليلي من كتابه الحق الدامغ، فيقول: "ومما يجب أن يستقر في الأذهان عند الحديث عن خلق القرآن أنه لا يقصد بالقرآن علم الله بما أنزله من كتبه على رسله، فإنه لا يماري أحد في قِدم علمه تعالى بهذه الكتب، إلا الذين قالوا بحدوث صفاته سبحانه"(١).

ثم بعد أن يذكر أن لله صفاتًا قديمة أزلية يأتي عند صفة الكلام ليبرهن أنه إذا أثبت لله عز وجل هذه الصفات ومنها صفة الكلام فقد أثبت ذوات متعددة قديمة مع الله في الأزل، إذ لا قديم سواه(٢).

ومراد المعتزلة والإباضية من هذا القول بنفي الصفات عن الذات الإلهية هو أن الله -جل وعلا- استغنى بذاته عن كل شيء، حيث اعتبروا إثبات الصفات لله -جل وعلا- هو من قبيل الحاجة إليها، وأن إثباتها معه إثبات لقديم أزلي، وهذا يؤدي إلى تعدد القدماء في زعمهم، وهو منافٍ لحقيقة التوحيد لديهم ولأصول مقالتهم في إنكار الصفات.

كما أرادوا الهروب مما وقعت فيه النصارى من القول: بثلاثة قدماء فكيف بالأكثر في نظرهم(٣).

فالذي يظهر للإباضية أنهم إذا أثبتوا لله عز وجل صفة الكلام فقد أثبتوا مع الله قديمًا؛ لاعتقادهم أن الصفة قائمة بذاتها منفصلة عن الموصوف بها، والذي عليه السلف الصالح أن صفة الكلام قائمة بذاته سبحانه وتعالى، كصفة الحياة والقدرة والسمع والبصر وغيرها من صفات الكمال التي وصف الله بها نفسه جل وعلا.

سادسًا: إن الإباضية لا يدرون بماذا يتمسكون، وعلى أي مذهب ينتمون حتى يثبتوا أن القرآن مخلوق، فهذه المرة اتجهوا إلى مذهب الأشاعرة المنكرين لتعليل أفعال الله سبحانه وتعالى.

فتعليل أفعال الله فيها دلالة على صفاته -جل وعلا- فالدلالات الحسية العقلية من حيث النظر فيها تستلزم أن الأفعال لا بد لها من فاعل، وهذا الفاعل لابد له من صفات تقوم به؛ لكي تصدر عنه تلك الأفعال، وإلا فلن يفعل.

فإثبات تلك الأفعال يستلزم إثبات الصفات التي لولاها لما صدرت تلك الأفعال، وهذا الدليل العقلي فيه إثبات صفات الكمال(٤).

فالخليلي يثبت صفة الكلام لله، ثم يعلل أفعال الله سبحانه وتعالى عند تكليم الله لموسى عليه السلام من حيث لا يشعر، فيقول: "جواز تعليله -أي: القرآن- كما تُعلل سائر أفعاله تعالى، فيقال كلَّم الله موسى ليصطفيه على غيره بهذه المزية، وكلَّم الله عباده بالقرآن ليقيم عليهم حجته ويهديهم سبله"(٥).

ولكن يظل يدافع عما بنى عليه عقيدته في صفات الله تعالى، ليتوصل بعد ذلك أن القرآن مخلوق، ولو انتقل إلى عقيدة مخالفيه من الأشاعرة في القول بعدم تعليل أفعال الخالق جل وعلا.

ومع كل ما ذكر ينبغي أن نتوقف عن التعليل الذي تُعَلَّل به أفعال الله تعالى، ونقول: هكذا وردت فنثبتها ونثبت لفظها ومعناها، ونتوقف عن تكييفها وتعليلها، ولا نقول: لماذا وُصف بكذا دون كذا؟

---

(١) الحق الدامغ: أحمد الخليلي: ص٨٣.

(٢) ينظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، أبو الخير العمراني، جـ ١/ ص١٣٤.

(٣) ينظر: لوامع الأنوار البهية، شمس الدين السفاريني، ٢١٧/١.

(٤) الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى عند أهل السنة والجماعة: عبدالله بن ظافر الشهري، جـ٢/ ص٥١٣. رسالة ماجستير

(٥) الحق الدامغ: أحمد الخليلي، ص١٢٣.

ولا لماذا فعل كذا دون كذا؟ فالتعليلات مرجعها إلى الله، ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾[1]، فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة[2].

سابعًا: إن القضايا المنطقية ما زالت تلازم الإباضية، وإن التجهم قد تراجع عنه الكثير من الناس وضل عالقًا في عقول الإباضية، ارتضوه عقيدة لهم، وسلاحًا ليدحضوا به عن أباطيلهم الهدامة، فهذه المقدمات الأرسطية بنوا عليها مسألتهم في خلق القرآن، كما قال بشر المريسي: القرآن مجعول، وكل مجعول مخلوق.

فقالوا: القرآن مجعول، وكل مجعول متغير، وكل متغير محدث، ينتج: القرآن محدث، فالجعل في القرآن بمعنى الخلق.

فهل كل ما في القرآن من لفظ "جعل" بمعنى "خلق"؟!

فقد جاء في كتاب الله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا ﴾[3]، أفخلقهم؟

﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾[4]، أفخلقهم؟

أفكل مجعول مخلوق؟[5].

يقول أبو القاسم اللالكائي: "سياق ما دل من الآيات من كتاب الله تعالى وما روي عن رسول اللهﷺ والصحابة والتابعين على أن القرآن تكلم الله به على الحقيقة، وأنه أنزله على محمدﷺ، وأمره أن يتحدى به، وأن يدعو الناس إليه، وأنه القرآن على الحقيقة، متلو في المحاريب، مكتوب في المصاحف، محفوظ في صدور الرجال، ليس بحكاية ولا عبارة عن قرآن، وهو قرآن واحد غير مخلوق وغير مجعول ومربوب، بل هو صفة من صفات ذاته، لم يزل به متكلمًا، ومن قال غير هذا فهو كافر ضال مضل مبتدع مخالف لمذاهب السنة والجماعة"[6].

ونكتفي بهذا القدر من الردود حول هذه الشبهات التي أثارتها الإباضية المعاصرة، وإن كانت هذه الشبهات ليست وليدة اليوم، إنما أرادوا شغل الأمة عما أمرها الله به في محكم كتابه وما أمرهم به من اتباع سنة نبيه محمدﷺ بما لديهم من فساد لعقيدتهم التي لم تكن في أسلافهم.

وإليك بعضًا من أقوال علمائهم المعتمدين في المذهب الإباضي.

---

(١) سورة الأنبياء: آية ٢٣.

(٢) ينظر: اعتقاد أهل السنة: الشيخ: عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net.

(٣) سورة الأنبياء: آية ٥٨.

(٤) سورة الفيل: آية ٥.

(٥) ينظر الرد على الجهمية والزنادقة: الإمام أحمد بن حنبل، ص٤٢.

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: أبو القاسم اللالكائي، ٣٦٤/٢.

المبحث الثالث: رد علماء الإباضية المعتمدين في المذهب على القائلين بخلق القرآن:

– هذا الكلام من الحق الدامغ وتعقيب من الخليلي على كلام نور الدين السالمي في التحفة:

يقول الخليلي: "يرى الإمام نور الدين السالمي: أن عدم تصريح سلف أئمة الإباضية المشارقة بخلق القرآن وسائر الكتب المنزلة راجع إلى فرارهم من مقالة الجهمية بحدوث صفات الله تعالى الذاتية؛ لخوفهم أن تكون هذه المسألة مفرعة على هذا الاعتقاد"(١).

ثم يعقب مفتي عمان: أحمد الخليلي على ما ذكره نور الدين السالمي بقوله:

"وهو لا ينافي ما ذكرته، فلا يبعد أن يكون إمساكهم عن التصريح بخلقه للاعتبارين معًا"(٢).

فهذا تصريح من السالمي والخليلي من أن أسلافهم أمسكوا خشيت الوقوع فيما وقعت فيه الجهمية، من القول بحدوث صفات الله تعالى.

– صاحب كتاب الأديان وهو إباضي يرد على المعتزلة القائلين بخلق القرآن بقوله:

"فإن عارض معارض واحتج بقول الله سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾(٣)، فكل شيء بين السماء والأرض فهو مخلوق، قلنا لهم: وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾(٤)، فالحق الذي خلق به السموات والأرض وما بينهما هو كلامه وهو خارج عن الأشياء(٥).

- ومن أئمة الإباضية القائلين بأن القرآن غير مخلوق أيضًا أبو النضر العماني:

فإنه كان ينكر ذلك القول إنكارًا شديدًا، وله قصيدة طويلة يرد بها على القائلين بخلق القرآن بلغت خمسة وسبعون بيتًا، وهي قصيدة جيدة فيها إبطال كل ما احتج به القائلون بخلقه، يقول في هذه القصيدة:

يا من يقول بفطرة القرآن	جهلا ويثبت خلقه بلسان
لا تنحل القرآن منك تكلفًا	ببدائع التكليف والبهتان
هل في الكتاب دلالة من خلقه	أوفي الرواية فأتنا ببيان
الله سماه كلامًا فادعه	بدعائه في السر والإعلان
ألا فهات وما ظنك واجدًا	في خلقه يا غِرُّ من برهان
إن كان من " إنا جعلناه" فما	في الجعل إن أنصفت من تبيان

(١) تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان: ١/ ١٥٦- ١٥٧.
(٢) الحق الدامغ: أحمد الخليلي: ص٨٦.
(٣) سورة السجدة: آية ٤.
(٤) سورة الحجر: آية ٨٥.
(٥) نقلاً عن آراء الخوارج الكلامية: د. عمار الطالبي، ص١٥٤–١٥٥.

ثم يشرع في الرد بالتفصيل، مبينًا أن الجعل في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(١) ليس نصًا صريحًا في الخلق، ثم استدل بدعاء إبراهيم الوارد في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾(٢)، وقوله: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾(٣) إلى آخر ذلك من الأدلة المقتبسة من القرآن الكريم في الرد على القائلين بخلق القرآن ودحض شبهاتهم(٤).

– **ويقول الشيخ الرستاقي صاحب كتاب منهج الطالبين وهو مؤرخ إباضي من المشارقة:**

" إن القرآن كلام الله، لا نقول إنه هو ولا شيء منه، ولا مخلوق، ولكنه وحيه وكتابه وتنزيله على نبيه محمدﷺ، والقرآن هو من علم الله، وعلمه لم يزل، وهو غير محدث، والقرآن كلام الله، والله تعالى لم يزل متكلمًا"(٥).

– **ويقول أبو عبدالله محمد بن سعيد القلهاتي ـصاحب كتاب الكشف والبيانـ وهو إباضي:**

"إن كلام الله تعالى قديم؛ لأنه قد ثبت أنه متكلم، كما ثبت أنه عالم، وأن من صفته الكلام، وهي صفة ذات، وصفاته لم يزل موصوفًا بها، فوجب أن يكون متكلمًا، وأن يكون له كلام، والدليل على أن كلامه أزلي قديم قوله تعالى في سورة يس: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(٦)، فبين أن قوله "كن" يتعلق بخلق ما خلق، فلو كان قوله مخلوقًا لاقتضى أن يكون له قول آخر فيه يقول "كن فيكون"، وكذلك القول الآني، ولو كان مخلوقًا كان حكمه حكم القول الأول، وقد كان التسلسل إلى ما لا نهاية له، وذلك ما لا يصح به وجود قوله، فلما استحال ذلك ثبت صحة ما قلنا عن قدم الكلام، وأن القرآن الكريم كلام الله سبحانه وتعالى، وأنه غير مخلوق(٧).

ثم أيد كلامه بأدلة من القرآن الكريم من أن القرآن كلام وأنه غير مخلوق.

– **يقول أبو الحسن البسيوي الإباضي في كتابه الجامع وهو يرد على القائلين بخلق القرآن:**

"وأيضًا قد اتفقنا أن أسماء الله التي تصفونه بها أسماء ذاتية في القرآن، والأسماء الذاتية لا يجوز عندنا وعندكم أن تكون مخلوقة، فلما كانت صفات الله الذاتية غير مخلوقة، وهي في القرآن، كان القرآن غير مخلوق"(٨).

وقد شهد الخليلي لأبي الحسن بأنه كتابه جمع العلم والتحقيق.

فهذه ردود على من يقول بخلق القرآن من الإباضية من علمائهم المعتبرين لديهم، ومن شهدوا لهم بالعلم، فلا مجال بعد ذلك لمن يزعم أن القرآن مخلوق، ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾(٩).

---

(١) سورة الزخرف: آية ٣.
(٢) سورة إبراهيم: آية ٣٥.
(٣) سورة إبراهيم: آية ٤٠.
(٤) ينظر: كتاب الدعائم: الشيخ أبو بكر أحمد بن النظر العماني
(٥) منهج الطالبين: الرستاقي: جـ١/ص٢٠٤.
(٦) سورة يس: آية ٨٢.
(٧) الكشف والبيان: أبو عبدالله محمد بن سعيد القلهاتي، جـ١/ ص٢٨٩.
(٨) جامع أبي الحسن البسيوي: للشيخ أبي الحسن علي بن محمد البسيوي، جـ١/ ص٤٥٧.
(٩) سورة يونس: آية ٣٢.

الخـاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وتابعيهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،،،،، وبعد:

فقد خلصت من هذا البحث بنتائج يمكن إجمالها في النقاط التالية:

- تبين من خلال نشأة الإباضية أنها تحاول أن تجد لها جذورًا تتعلق بها وتنسب إليها من عصر الصحابة والتابعين لتجد لنفسها مكانًا تعتمد عليه في مذهبها.
- نشأت فرقة الإباضية في أصولها الاعتقادية على أصول الخوارج، ثم تقدم بها الحال وتحولت لتصبح خليط من عقائد الجهمية والمعتزلة والحلولية وأهل الكلام، فتنقلت من الخصومات والجدل إلى الكلام والتأويل.
- الجرأة في تصريحهم بموافقة أهل الضلال والزيغ في معتقدهم، بل يدعون أن بعض الفرق الضالة – كالمعتزلة- وافقتهم في معتقدهم كمسألة الصفات.
- استخدامهم التأويل والتحريف لإقناع خصومهم فيما يتعرض له من مسائل كلامية.
- اتخاذهم التقية حتى يتم لهم التمكن ليظهروا ما تكنه صدورهم من البغض والكره لصحابة رسول الله ﷺ ومن هم على نهجهم، وهذه والتي قبلها لم تكن في أسلافهم.
- إن القول بخلق القرآن لم يكن عند سلف الإباضية وأئمتهم، ولم تكن هذه المسألة في الجذور العقدية لدى الإباضية، بل لم تكن عند الخوارج الأُول في أصلها، وهذا باعترافهم.
- من الأسباب التي دعت الإباضية في تبني هذه المسألة تأثرهم بالمعتزلة الذين سبق وجودهم في الشمال الإفريقي وجود الإباضية.
- بنت الإباضية -القائلة بخلق القرآن- معتقدها في القول بخلق القرآن على صفات الله، وعلى وجه التحديد صفة الكلام، وكيفية كلام الله تعالى وفي حدوثه، هل هو قديم أو حادث، فغلب عليهم النهج التأويلي، فقالوا بخلق القرآن.
- الحجج والشبهات التي أوردها الإباضية لم تكن من الأشياء الجديدة، وإنما أخذت من الجهمية والمعتزلة، لتأتي الإباضية من بعدهم لتحاكيهم وتقلدهم فيما ذهبوا إليه من القول بخلق القرآن.
- جهود أهل السنة والجماعة واضحة وجلية تجاه مثل هذه القضايا والتصدي لها، ومنهجهم ثابت لا يتغير كما هو الحال مع الإباضية الذين بدلوا في اعتقادهم ومنهجهم.
- مسألة خلق القرآن بين الإباضية مثار اختلاف فيما بينهم في القديم والحديث، وفيهم في الوقت الحاضر من ينكر القول بخلق القرآن.
- مسألة القول بخلق القرآن عند الإباضية على الرغم من خطورتها في مسائل الاعتقاد إلا أنها لا تمثل عند الإباضية محل كبير اختلاف، ولا يرون البراء ممن يقول بخلق القرآن، أو أنه غير مخلوق.

والله اسأل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يثبتنا على دينه حتى الممات، وأن يحقق لهذه الأمة ما يعز به أهل طاعته، ويهدى به أهل معصيته،

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصل اللهم وسلم على محمد وآله وصحبه وسائر من اقتفى أثره واهتدى بهديه إلى يوم الدين،،،،،

قائمة المراجع

- الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتابة المقالات في القديم والحديث، علي يحيى معمر، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، المطبعة العربية غرداية، ١٩٨٥م.
- الإباضية عقيدة ومذهبًا: د. صابر طعيمة، دار الجيل بيروت، سنة الطبع: ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- الإباضية في موكب التاريخ: علي يحيى معمر، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، الطبعة الثانية :١٩٩٣م.
- الإباضية مذهب إسلامي معتدل: علي يحيى معمر، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، سلطنة عمان، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.
- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة (الإبانة الكبرى)، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد العُكْبَري المعروف بابن بطة العكبري، (٣٨٧هـ).
- أجوبة ابن خلفون، أبو يعقوب يوسف خلفون المزاتي، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٩٤-١٩٧٤.
- آراء الخوارج الكلامية، د. عمار الطالبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٣٩٨هـ-١٩٨٧م.
- الأصول التاريخية للفرق الإباضية: د. عوض خليفات، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- أصول الدين الإسلامي مع قواعده الأربع: الإمام محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي، المحقق: رتبها محمد الطيب بن إسحاق الأنصاري، سنة الطبع ١٤١٠هـ-١٩٨٩م، بدون طبعة، الناشر: دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة.
- الاعتصام: إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، الناشر: دار ابن عفان، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.
- اعتقاد أهل السنة: الشيخ: عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net.
- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن فارس، الزركلي الدمشقي، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر- أيار/ مايو ٢٠٠٢م.
- الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني، المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، فرحات بن علي الجعبيري، الناشر: مكتبة الاستقامة، تاريخ النشر: بدون، مطبعة الألوان الحديثة، رقم الإيداع: ١٩٨٩/٥٨٦م.

- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ
- البيهقي وموقفه من الإلهيات، د. أحمد بن عطية بن علي الغامدي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، الناشر: دار التراث – بيروت، الطبعة: الثانية - ١٣٨٧هـ.
- تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان: للشيخ نور الدين عبدالله بن حميد السالمي، مكتبة الاستقامة، بدون طبعة وتاريخ نشر.
- تذكرة الحفاظ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.
- جامع أبي الحسن البسيوي: للشيخ أبي الحسن علي بن محمد البسيوي، دراسة وتحقيق: سليمان بن إبراهيم الواراجلاني، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، تاريخ النشر: بدون.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المعروف بـ(صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- الحق الدامغ: الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، مطابع النهضة، مسقط ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- الحقيقة والمجاز في تاريخ الإباضية باليمن والحجاز: سالم بن حمود بن شامس السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، بدون طبعة.
- الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى عند أهل السنة والجماعة: عبدالله بن ظافر الشهري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، ١٤٢٣هـ.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام: د. ناصر عبدالكريم العقل، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- دراسات إسلامية في الأصول الإباضية: بكير بن سعيد أعوشت، الناشر: مكتبة وهبة، شارع الجمهورية – عابدين، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- دراسات عن الإباضية: د. عمرو خليفة النامي، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الثانية، ٢٠١٢م.
- دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها: د. ناصر بن عبدالكريم العقل، مركز الدراسات والإعلام، دار إشبيليا للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٨١٨هـ-١٩٩٧م.

- الرد على الجهمية والزنادقة: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: صبري بن سلامة شاهين، الناشر: دار الثبات للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى.
- روض البيان على فيض المنان في الرد على من ادّعى قِدَم القُرآن: نور الدين عبدالله السالمي، تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان السالمي، مطابع النهضة - مسقط (سلطنة عمان) ١٩٩٥.
- السنة، أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيّ البغدادي، المحقق: د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، الناشر: دار ابن القيم – الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة – السعودية، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
- شرح النيل وشفاء العليل: محمد بن يوسف أطفيش، دار الفتح، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.
- شرح غاية المراد في نظم الاعتقاد، أحمد بن حمد الخليلي، الناشر: الكلمة الطيبة، مسقط – سلطنة عمان، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.
- شرح مقدمة التوحيد: د: محمد بن يوسف أطفيش، تحقيق: مصطفى بن الناصر وينتن، نشر جمعية التراث، القرارة – غرداية، الجزائر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي، الدكتور: علي محمد الصَّلَّابي، دار الإيمان للطباعة والنشر، الاسكندرية، بدون تاريخ نشر.
- الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- طبقات المشائخ بالمغرب، أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني (٦٧٠هـ)، تحقيق: إبراهيم طلاي، بدون بيانات طبع ونشر.
- العقود الفضية في أصول الإباضية: سالم بن حمد بن سليمان الحارثي، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، مسقط، الطبعة الثانية، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م.
- عمان تاريخ يتكلم، محمد بن عبدالله السالمي، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٤م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، تحقيق د. محمد إبراهيم نصر، ود. عبدالرحمن عميرة، الناشر: دار الجيل – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- قناة الرسالة في برنامج لقاء الجمعة عن موضوع "وحدة الأمة". مفتي عمان أحمد الخليلي. الموقع الإلكتروني: www.alresalah.net

- الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي– القاهرة، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة: تصنيف: سرحان بن سعيد الإزكوي، تحقيق: أ. د. محمد حبيب صالح، د. محمود بن مبارك السليمي، وزارة التراث والثقافة، مسقط - سلطنة عمان، الطبعة: الثانية، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
- الكشف والبيان: أبو عبدالله محمد بن سعيد الأزدي القلهاتي، تحقيق: د. سيدة إسماعيل كاشف، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، بدون طبعة، ١٤٠٠هـ–١٩٨٠م.
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، الطبعة: الثانية - ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- مختصر تاريخ الإباضية: أبو الربيع سليمان الباروني، الناشر، مكتبة الاستقامة، تونس، مطبعة الإرادة، تونس، ١٣٥٧هـ– ١٩٣٨م.
- مروج الذهب ومعاد الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر– بيروت، الطبعة الخامسة، ١٣٩٣هـ–١٩٧٣م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المعروف بـ(صحيح مسلم)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت.
- مشارق أنور العقول: أبو محمد عبدالله بن حميد السالمي، تصحيح وتعليق: الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، دار الجيل- بيروت، الطبعة: ١٤٠٩هـ–١٩٨٩م.
- معالم الدين: عبدالعزيز المصعبي، ج٢/ص١٥. وورد من الشبكة العنكبوتية library.al- kawkab.com/print/72.
- معجم أعلام الإباضية، محمد بن موسى باباعمي، بعناية: د. محمد صالح ناصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ار الغرب الإسلامي، بيروت.
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، المحقق: نعيم زرزور، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

- الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: عبدالعزيز محمد الوكيل. مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، ١٣٨٧هـ ١٩٦٨م.
- الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني. دار المعرفة، ١٤٠٤هـ.
- مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الثالثة.
- منهج الطالبين وبلاغ الراغبين: خميس بن سعيد بن علي الشقصي الرستاقي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية لشباب العالم الإسلامي، بإشراف ومراجعة، د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية.
- نثار الجوهر في علم الشرع الأزهر: ناصر سالم. الطبعة الأولى عام ١٤٠٠هـ، مسقط.
- نشأة الحركة الإباضية وأصولها: الناصر المرموري، من موقع الشبكة العنكبوتية "تسجيلات مرئية". https://www.youtube.com/watchI تاريخ النشر: ١٤٣٢/١١/١٨هـ.
- نشأة الحركة الإباضية: د. عوض محمد خليفات، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
- همیان الزاد إلى دار المعاد: محمد بن يوسف المصعبي الملقب ب (أطفيش)، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.